أسباب إزالة الهموم الغموم

سفن النجاة من فتن الغُوَاة

ما يترتب على الطلاق البدعي

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٥٧٩ السنة التاسعة والأربعون - ربيع أول ١٤٤١ هـ

الثمن ٥ جنيهات

التوحيد

المسلمون في الصين .. وصراع مسلمي الإيغور

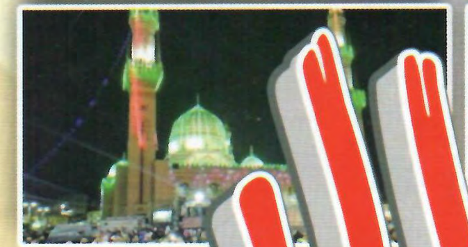

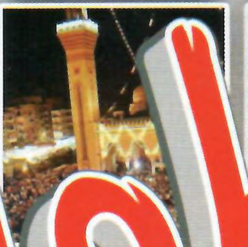

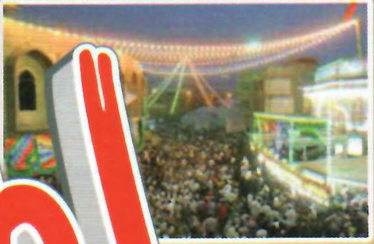

الموالد ونشأتها في تاريخ الإسلام

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم
{ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ }

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام ||
WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير ||
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ||
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

وصف مصر بين الأمس واليوم

زارها الرحالة المسلم المعروف بـ« ابن بطوطة » فقال عنها: « هي أم البلاد، ذات الأقاليم العريضة والبلاد الأريضة. المتناهية في كثرة العمارة، المتباهية بالحسن والنضارة، مَجْمَع الوارد والصادر، ومحطّ رَحْل الضعيف والقادر، وبها ما شئتَ من عالم وجاهل!، وجادّ وهازل!، وحليم وسفيه!، ووضيع ونبيه!، وشريف ومشروف!، ومنكر ومعروف!.

تموج موج البحر بسكانها، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وأركانها، قهرت قاهرتُها الأممَ، وتمكّنت ملوكها نواصي العرب والعجم، ولها خصوصية النيل الذي أجلّ خطرها، وأغناها عن أن يستمد القطر قطرها، وأرضها مسيرة شهر، لمجد السير، كريمة التربة مؤنسة لذوى الغربة ». (انتهى كلامه رحمه الله).

إن كنتَ لبيبًا فاعرف ما الفرق بين ماضيها وحاضرها؟

التحرير

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

الموالد ونشأتها في تاريخ الإسلام: د. عبد الله شاكر ٢
كلمة التحرير: المسلمون في الصين.. وصراع مسلمي الإيغور: رئيس التحرير ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٢
من صفات أهل القرآن: د. أسامة صابر ١٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٨
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
منبر الحرمين: د. حسين بن عبد العزيز آل الشيخ ٢٦
الأحداث المهمة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عيد ٢٩
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ٣٢
بحار الفتن وسبل النجاة: د. عماد عيسى ٣٤
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
باب الفقه: د. حمدي طه ٤١
لغة الجسد وأهميتها للدعاة: د. ياسر لمعي ٤٤
إعلام أهل الديانة بوجوب أداء الأمانة: المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٤٧
باب الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
محبة النبي صلى الله عليه وسلم طاعة واتباع: عبده أحمد الأقرع ٦١
نظرات في أحكام فرق الطلاق: محمد عبد العزيز ٦٥
السلفية منهج حياة: د. أحمد منصور سبالك ٦٨
نظرات في السيرة النبوية: د. سعيد صوابي ٧٠
فقر المشاعر: د. محمد إبراهيم الحمد ٧٢

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الاسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارا أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم /١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

افتتاحية العدد

الموالد ونشأتها في تاريخ الإسلام

الرئيس العام

أ.د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد تناولت مجلة "التوحيد"، ومن قبلها "الهدي النبوي" بيان حكم الشرع في الموالد، غير أن بعض الناس لم يرجع إلى الصواب في هذه المسألة، وكلما جاءت مناسبة لصاحب مولد أقاموه، وكان الأَوْلى أن يرجعوا إلى الحق المؤيَّد بالدليل في ذلك؛ لأن الخلاف إذا وقع وجب ردُّه إلى الله تعالى وإلى رسول الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (النساء: ٥٩)، وقد ذكر الإمام ابن حجر رحمه الله في تفسيره عن مجاهد وميمون بن مهران وقتادة أن الرد إلى الله تعالى يعني الرد إلى كتابه المنزَّل، وأن الردَّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يعني الرد إلى شخصه في حياته وإلى سُنته بعد مماته صلى الله عليه وسلم. (انظر: تفسيره ج٤/٩٦).

وزيادة في البيان ونصحًا لإخواني من أهل الإيمان سأبين هنا-بإذن الله- أن الموالد بدعة محدثة، وليست من هدي الكتاب والسنة الذي يجب على الأمة الالتزام بهما، مع التأكيد على أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم أصلٌ عظيم من أصول الإيمان؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه أحمد: (١٥)، ومسلم (٤٤)).

وكذلك محبة أولياء الله الصالحين واجبة؛ للحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب». (البخاري: ٦٥٠٢).

والمحبة عمل قلبي اعتقادي تظهر آثاره ودلائله في سلوك الإنسان وأفعاله، ومن علامات ذلك: اتباعُ النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته، والاهتداء بهديه؛ فطاعة الرسول

صلى الله عليه وسلم هي المثال الحي الصادق لمحبته، فكلما ازداد الحب زادت الطاعة، ولهذا قال الله تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» (آل عمران: ٣١)، وقد تواترت النصوص النبويّة في الحثّ على اتباعه صلى الله عليه وسلم وطاعته، والاهتداء بهديه والاستنان بسُنّته، وتعظيم أمره ونهيه، ومن ذلك قوله- عليه الصلاة والسلام-: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». (مسند أحمد ج٤/١٢٧، كما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما).

وقد انحرف بعض الناس عن هدي النبي عليه الصلاة والسلام، وأحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه، وغلوا في محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم غلوًا أخرجهم عن جادة الصراط المستقيم، ومن ذلك إقامة الموالد، وكذلك مولده عليه الصلاة والسلام، وكل ذلك أمور مُحْدثة في دين الله تبارك وتعالى، وبيان ذلك فيما يلي:

أولًا: مضت القرون الثلاثة المفضلة بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم وجزء من القرن الرابع الهجري، ولم تسجل لنا كتب التاريخ أن أحدًا من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم ومن جاء بعدهم-مع شدة محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك فهم أعلم الناس بالسنة، وأحرص الناس على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباع شرعه- احتفل بمولده عليه الصلاة والسلام، وقد اتفق من يُعتدّ بهم من أهل العلم ممن قال بجواز الاحتفال بالمولد ومن قال بعدم جواز الاحتفال به على أن السلف الصالح رضي الله عنهم لم يحتفلوا به، وهذا مما يستدل به على المجوزين، فإنه لا يمكن أن يكون تركهم إياه إلا لكونه لا دليل عليه ولا خير فيه، والقول بغير ذلك يلزم منه تنقيصهم وتفضيل من بعدهم عليهم، ومعلوم أنهم أكمل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء وأشدهم اتباعًا.

ومن ناحية أخرى فالنبي صلى الله عليه وسلم قد تركه، مع أنه بلّغ أمته البلاغ المبين، ولم يترك شيئًا يُقرّب الأمة من ربها إلا دلّ عليه وفعله وحثّ أمّته عليه، صلوات الله وسلامه عليه، وترك النبي صلى الله عليه وسلم للشيء مع قيام المقتضي لفعله وعدم المانع سُنّة، فمن استحب فعْل ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم كان كمن استحبَّ تَرْك ما فعله صلى الله عليه وسلم، ولا فرق، ولا يقول قائل: ما هو الدليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم لم يحتفلوا بمولده؟

أقول: لو فعلوه لنُقل إلينا ولذَكره مَن يحتفل بالمولد النبوي؛ لأن الحجّة تكون حينئذ أقوى، ومما يدل كذلك على أن السلف الصالح لم يحتفلوا بيوم المولد: اختلافهم في تحرير التاريخ الذي وُلد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام قال ابن كثير رحمه الله: «لا خلاف فيه أنه وُلد صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين، ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول، فقيل: لليلتين خلتا منه؛ قاله ابن عبد البر في الاستيعاب، وقيل: لثمان خلون منه؛ حكاه الحميدي عن ابن حزم، وقيل: لعشر خلون منه...»، وقد ذكر ابن كثير أقوالًا أخرى في ذلك. (انظر: البداية والنهاية ٢/٢٤٢).

ومن المعلوم بداهة أن الصحابة والتابعين لو احتفلوا بيوم مولده ما وقع خلاف في تحديد التاريخ؛ لأنهم لعصره أقرب، ولسيرته أعلم، صلى الله عليه وسلم.

ولقوله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)، وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) أخرجه مسلم (١٧١٨).

ثانيًا: العبيديون هم أول من احتفل بالمولد النبوي:

الذي يتتبع التاريخ ويقف على كلام المؤرخين يدرك أن العبيديين الذين تسموا بالفاطميين هم أول من أحدثوا بدعة المولد، يقول المقريزي رحمه الله: «وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم، وهي: مواسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد علي بن أبي طالب، ومولد الحسن والحسين عليهما السلام، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، ويوم النيروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد». (الخطط ٤٣٦/٢).

وقد ذكر المقريزي أعيادًا أخرى كثيرة لم أذكرها هنا؛ لطولها، وهذا يدل على أن العبيديين هم الذين فتحوا وأدخلوا على المسلمين هذه الأعياد البدعية، ويُلاحَظ من كلام المقريزي أن هؤلاء لم يقتصروا على الأعياد التي لها صلة بالتاريخ الإسلامي، وانما احتفلوا بأعياد المشركين والمجوس، كعيد النيروز، والغطاس، وكذلك عيد الميلاد عند النصارى، وهذا يدل على أنهم اخترعوا هذه الأعياد لإفساد عقائد المسلمين وصرفهم عن دين رب العالمين.

ويقول القلقشندي عند كلامه عن جلسات الخلفاء الفاطميين: «الجلوس الثالث: جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وكان عادتهم فيه أن يُعمل في دار الفطرة عشرون قنطارًا من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف، وتعبّأ ثلاثمائة صينية نحاس، فإذا كان ليلة ذلك المولد تفرّق في أرباب الرسوم كقاضي القضاة، وداعي الدعاة، وقراءة الحضرة».(صبح الأعشى في صناعة الإنشا (٤٩٨/١٣).

وقد صرح بذلك أيضًا الشيخ حسن السندوبي رحمه الله، وذكر أن الفاطميين هم الذين أحدثوا الموالد، وفي ذلك يقول: «لقد دلّني البحث والتنقيب والتحرّي والاستقصاء على أن الفاطميين هم أول من ابتدع فكرة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف، وجعلوه من الأعياد العامة في كلّ أمة من الأمم الإسلامية، كما ابتدعوا غيره من الاحتفالات الدورية التي عُدّت من مواسمها، وكذلك صرفوا الكثير من اهتمامهم إلى إحياء ما يكون معروفًا من المواسم والأعياد قبل الإسلام». (انظر: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص٦٢).

وقال مفتي الديار المصرية سابقًا الشيخ محمد المطيعي رحمه الله: «مما أحدث وكثر الحديث عنه الموالد، فنقول: إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون، وأولهم المعز لدين الله». (أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام، ص٤٤).

والغرض من ابتداع الاحتفال بالمولد النبوي هو جذب قلوب العامة إلى الدولة الفاطمية التي حطت رحالها في مصر، يقول السندوبي: «ولما استقر له الحكم -أي: المعز لدين الله- أخذ يفكر في الوسائل الكفيلة باستمالة القلوب، وامتلاك النفوس، واستثارة العواطف حتى تألف الأمة المصرية تصرُّفات هذه الحكومة الجديدة، وترضى عن سياستها في إدارة البلاد، لذلك رأى المعز لدين الله أن أقرب الأسباب للوصول إلى أغراض إقامة مواسم حافلة وأعياد شاملة في مواعيد مقررة، وكان أوّلها وأجلّها وأفضلها الاحتفال بذكرى المولد النبوي» (تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص٦٣).

وبهذا يتّضح دور العبيديين في اختراع الموالد والغرض منها، ولا يجوز لأحد أن يقلّد هؤلاء في بدعهم وضلالهم، خاصةً أن المحققين من أهل العلم يطعنون في نسبهم، وقد كتب الشيخ عبد الرحمن الوكيل، رحمه الله، عن عقيدة المعزّ ونسبه، ومما قال: «أجمع الثقات من المؤرخين على أن المعز دعيّ النسب، والكثرة الغالبة منهم على أنه من نسْل ميمون القداح المتوفى حوالي عام ٢٦١هـ». ثم ذكر حكم قاضي قضاة الدولة العباسية فيهم. (انظر: مجلة الهدي النبوي، عدد شعبان من السنة العاشرة عام ١٣٦٥هـ).

أسأل الله تعالى أن يفتح علينا بالحق، وأن يوفّقنا إلى اتباعه.

المسلمون في الصين.. وصراع مسلمي الإيغور

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى، وبعد:

تعاني أمتنا الإسلامية من تكالب قوى الشر على كل بقاعها، وما تعيشه شعوبها في كثير من أنحاء العالم والتي شهدت الويلات والمآسي، وقد استعرضنا في العدد الماضي قضية مسلمي كشمير في ظل حالة التيه التي يعيشها العالم الإسلامي، واليوم نذكر أنفسنا بقضية أخرى يعيشها المسلمون في ظل الاضطهاد الصيني لشعب الإيغور المسلم، الذي تحاول الصين والحكومات الصينية المتعاقبة محو هويته وطمس قوميته، بعد أن تمكنت من أن تقيم دولته الإسلامية دولة تركستان الشرقية التي ظلت صامدة على مدى نحو عشرة قرون قبل أن تنهار أمام الغزو الصيني عام ١٧٥٩م، ثم عام ١٨٧٦م قبل أن تلحق نهائيًا بالصين الشيوعية عام ١٩٥٠م، وعلى مدى هذه المدة قام الإيغور بعدة ثورات نجحت في بعض الأحيان في إقامة دولة مستقلة على غرار ثورات ١٩٣٣، و١٩٤٤م، لكنها سرعان ما كانت تنهار أمام الصينيين الذين أخضعوا الإقليم في النهاية لسيطرتهم، ودفعوا إليه بعرق «الهان» الذي أوشك أن يصبح أغلبية على حساب الإيغور السكان الأصليين، وفي سبتمبر ٢٠٠٤م قام الإيغوريون بتأسيس حكومة في المنفى لتركستان الشرقية، ويتعرض المسلمون الإيغور لحالة من النسيان من العالم الإسلامي، والاضطهاد الشديد لهم أمام العالم أجمع، وليس لذنب سوى أنهم مسلمون، وصدق الله عز وجل إذ يقول: «وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا» (البقرة: ٢١٧)، وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يوشك الأممُ أن تتداعى عليكم، كما تتداعى الأكلةُ إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلة بنا نحن يومئذ؟! قال: «بل أنتم يومئذ كثيرٌ، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهنَ». قال قائل: يا رسول الله! وما الوهنُ؟! قال: «حبُّ الدنيا، وكراهيةُ الموت». (رواه أبو داود: ٤٢٩٧، وصححه الألباني). نسأل الله تعالى أن يرد المسلمين إلى دينه ردًا جميلاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الإيغور على مر التاريخ

والإيغوريون هم شعوب تركية يشكلون واحدة من ٥٦ عرقية في جمهورية الصين الشعبية، وبشكل عام يتركزون في منطقة تركستان الشرقية ذاتية

الحكم، والتي تعرف باسم «شينجيانج»، وتقع على مساحة تمثل سدس مساحة الصين، ويتواجدون في بعض مناطق جنوب وسط الصين، ويدينون بالإسلام.

والإيغور يعني تاريخيًا مصطلح الاتحاد والتحالف والتضامن، كان يطلق على أحد الشعوب التركية التي تعيش فيما يعرف اليوم باسم «منغوليا»، وكان الأويغوريون مع الجوك تركيين من أقوى وأكبر القبائل التركية التي تعيش في آسيا الوسطى، وعاشت القبيلة موحدة في حكم اتحادي يعرف باسم الروران (من ٤٦٠: ٥٦٥م)، قبل أن يضم مُلكهم إلى مُلك خانات الجوك تركيين، وعرفوا في تلك الفترات باسم «هويهو»، وأسسوا لهم مملكة في القرن الثامن الميلادي اشتق منه اسم قومية الهوي في الصين.

وفي عام ٧٤٤م استطاع الأويغور بمساعدة قبائل تركية أخرى الإطاحة بالإمبراطورية الجوك تركية، وأسسوا مملكتهم الخاصة بهم التي امتدت من بحر قزوين غرباً حتى «منشوريا» شمال شرقي الصين والكوريتان شرقًا، واستمرت المملكة حتى عام ٨٤٠م، واختاروا مدينة «أوردو بالق» عاصمة لهم.

وبعد العديد من الحروب الأهلية والمجاعات في المملكة الأويغورية سيطر القيرغيز على أراضي الدولة، نتيجة للغزو القيرغيزي، وهاجر أغلب الأويغوريين من أراضي مملكتهم متجهين إلى ما يعرف الآن بشينغيانغ أو تركستان الشرقية، وهناك أسسوا مملكة مع قبائل تركية أخرى «زنجاريا وتاريم باسن»، استمرت حتى غزو جنكيزخان عام ١٢٠٩م، وهاجر الأويغور الذين لم يهاجروا إلى تركستان الشرقية هاجروا نحو كازاخستان، وجاوروا بعض القبائل الطاجيكية، واعتنقوا الإسلام ودخلوا فيه، وكان ذلك في القرن الحادي عشر الميلادي.

وقد أسس الأويغور الذين أسلموا دولة سميت «القارا خانات»، والذي يسمى حاكمها «قارا خان»، وبعد ظهور السلاجقة واشتداد عودهم وازدياد قوتهم صارت المنافس الأقوى لدولة «قاراخانات» في تلك المناطق «تركستان وكازاخستان حاليًا».

وقد قُتل من الأويغوريين المسلمين أكثر من مليون مسلم في عام ١٨٦٣م، كما قُتل أكثر من مليون مسلم في المواجهات التي تمت في عام ١٩٤٩م عندما استولى النظام الشيوعي الصيني بقيادة «ماو تسي تونج»؛ حيث ألغى استقلال الإقليم، وجرى ضمه لجمهورية الصين، وجرى تفريغ الإقليم من سكانه المسلمين وتوزيعهم إلى أقاليم أخرى، حتى يمثلوا أقلية في مواطنهم الجديدة، كما تم التضييق عليهم في عباداتهم ومظاهرهم الإسلامية وهدم مساجدهم، وإزالة مدارسهم.

ولكن الله تعالى ناصر دينه، يقول عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» (الأنفال: ٣٦).

كيف وصل الإسلام للصين؟

وقد وصل الإسلام للصين في السنة الحادية والعشرين بعد الهجرة، بعد أن أرسل الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بعثًا لنشر الإسلام في الصين، وكانت المناطق الشرقية من الصين من أوائل المناطق الصينية التي بدأ التوسع بها، ثم أرسل الخلفاء من بعد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، العديد من البعثات لنشر الإسلام في الصين ما بين عام (٣١) بعد الهجرة حتى عام ١٨٤هـ، كما ساعدت أساطيل التجارة المتوجهة من المناطق الإسلامية للصين في نشر الدين الإسلامي على طول المناطق الساحلية، والانتشار والتوغل نحو الداخل، حتى وصل الدين الإسلامي إلى جميع مناطق الصين، وهذا ما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «ليبلغنّ هذا الأمرُ ما بلغ الليل والنهارُ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدِّين، بعزِّ عزيز، أو بذلِّ ذليل، عزًا يعزُّ الله به الإسلامَ، وذلًا يذلّ الله به الكفر» (رواه أحمد: ١٦٩٥٧، وصححه الألباني).

ويبلغ عدد المسلمين المنتشرين في مختلف المدن الصينية ما يقرب من مائة وعشرين مليون نسمة، والذين تمكنوا من الاندماج خلال فترة الحكم المغولي في الصين وحتى الآن، وعلى الرغم من اندماج العرب المسلمين في الصين مع كافة فئات المجتمع الصيني، إلا أنهم تمكنوا من المحافظة على العادات والتقاليد الإسلامية، والتمسك بالدين الإسلامي، الأمر الذين ساعدهم في تولي مناصب عالية ومهمة في عهد الدولة المغولية، وحرص المسلمين على تثبيت أنفسهم في مختلف مناطق الصين من خلال المصاهرة مع الأقاليم الأخرى من الصينيين والعرب وغيرهم من الأجانب.

وينقسم التعليم الإسلامي في مختلف المدن الصينية إلى ثلاث مراحل تعليمية، وهي: المرحلة الابتدائية، وتعتمد هذه المرحلة على الدروس الدينية، وتحفيظ القرآن الكريم في المساجد والمراكز التعليمية، ثم المرحلة الوسطى، وتقوم على تعليم الطلاب اللغة العربية، من حيث علوم النحو والبلاغة

وعدد من العلوم الدينية وعلوم السُّنة.

ثم تأتي المرحلة العليا، وتمتد لفترة طويلة؛ حيث تقوم على تعليم الطلاب علوم الدين بشكل دقيق في مجالات عدة بينها الفقه والتوحيد، وتحليل المعاني، وذلك بهدف تخريج دعاة مسلمين ومعلمين للدين الإسلامي.

ويوجد في الصين حوالي ألف مسجد تنتشر في مختلف مناطق الصين، وأسس أول مسجد في مدينة كانتون في الصين قبل حوالي ١٣٥٠ عامًا، ويعرف باسم مسجد الحنين إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما يبلغ عمر مسجد نيوجيه في بكين ما يقارب الألف عام، ويعتبر هذان المسجدان من أقدم المساجد في الصين بالإضافة إلى غيرها من المساجد التي بُنيت على الطراز الحديث في مختلف الصين، مع انتشار المسلمين هناك.

السياسات الصينية تجاه المسلمين

وفي ظل الصمت الدولي والإسلامي تجاه الصين؛ ارتكبت الحكومات الصينية تجاه المسلمين هناك فظائع عديدة؛ فمنذ قيام جمهورية الصين الشيوعية عام ١٩٤٩م، أضحى ترويج الإلحاد سياسة عامة للدولة تجاه الأديان، وعليه اتبعت الصين عدة سياسات في التعامل مع المسلمين، فكانت مرحلة المهادنة بين عامي ١٩٤٩، ١٩٥٨م، ثم مرحلة تحويل الهوية الإسلامية إلى هوية شيوعية عبر موجة العنف الأولى بين عامي ١٩٥٨، ١٩٦٦م، ثم لما لم تفلح تلك السياسات تمامًا، بدأت الدولة في تعطيل الشعائر الدينية، ومنع الحج واغلاق المعاهد الإسلامية.

أما المرحلة الأكثر خطورة فجاءت مع انطلاق الثورة الثقافية ما بين عامي ١٩٦٦، ١٩٧٦م، فقد جرى ضرب رجال الدين وحرق المصاحف، وإغلاق المساجد وتدميرها، ويقال: إنه في بكين كلها لم يبق سوى مسجد واحد ليصلي به الدبلوماسيون من الدول الإسلامية، وفي شينغيانغ «تركستان الشرقية» جرى تدمير واغلاق ٩٧,٥٪ من المساجد ليخفض عددها من عشرين ألفًا إلى أقل من خمسمائة مسجد، وفي نهاية السبعينيات وبالتوازي مع الثورة الإسلامية الإيرانية، وبدايات الجهاد الأفغاني، جاءت مرحلة الصلح، فقد أعلنت الصين احترامها لمكانة جميع الأديان، وأعادت فتح أكثر من ١٩٠٠ مسجدًا في شينغيانغ وحدها، بل وساهمت بنفقات إصلاح بعض المساجد.

الاضطهاد الديني لمسلمي الإيغور

ومع تشابك المصالح وخاصة الاقتصادية بين الصين ودول العالم التي انزعجت من الممارسات الصينية، بدأت الصين تتعامل مع مسلمي الهان وهم من أصول صينية على أنهم المسلمون الحقيقيون، وتمحنهم كل الحريات الدينية التي يريدونها، ووصل عدد المساجد في الصين بفضلهم إلى خمسة وثلاثين ألف مسجد، أما الايغور وبقية الأقليات التي لا تتحدث الصينية جيدًا وتنتشر في الغالب بإقليم شينغانغ فتفرض عليهم الصين رقابة صارمة وتمنعهم من أبسط حقوقهم، وأخذت حملات القمع بحقهم في التصاعد منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، فقد توافرت بنية دولية تتغافل مع أيِّ عنف في مواجهة الإسلاميين هناك.

ويحظر على الإيغور النقاب واطلاق اللحى وأحيانًا الحجاب، ويجبرون بشكل ودي على تسليم المصاحف وسجادات الصلاة للسلطات المحلية خوفًا من اكتشافها ومصادرتها خلال عمليات الدهم والتفتيش، كما أن الصيام تم منعه مرارًا في المدارس العامة والمؤسسات الحكومية.

وفي عام ٢٠١٥م أجبر أئمة المساجد على الرقص في الشارع، وتُعدّ جوازات السفر حلمًا لمسلمي الإيغور، أما أصحاب المحلات الذين يبيعون السلع الغذائية فيجبرون على بيع الخمور والسجائر خوفًا من إغلاق مصادر أرزاقهم، واذا دخلت مسجدًا في شينغيانغ فقد تجد لافتة تحذر من دخول أي شخص تحت سن ١٨ عامًا.

وتتعامل الحكومة الصينية مع مسألة إسلام الإيغور، كما تتعامل منظمة الصحة العالمية مع التدخين، فلا يحق لك أن تمارس عبادتك قبل بلوغ سن الرشد!!

الممارسات العنصرية مع النواحي الاقتصادية

وتنسحب الممارسات العنصرية على النواحي الاقتصادية، فالايغور لا تعليم لهم ولا توظيف؛ بحجة أنهم غير مؤهلين ولا يعرفون الصينية جيدًا.

وتصنف الصين إقليم شينغيانغ كمنطقة خاصة تتمتع بحكم ذاتي نظريًا، وهو إقليم صناعي يشكل سُدس مساحة البلاد، ويساهم بقدر كبير في ثروتها، ففيه حوالي ٨٠٪ من إنتاج الصين النفطي، و٩٠٪ من إنتاجها من اليورانيوم، ولكن غنى الإقليم لا يعود بالخير على المسلمين الايغور، فالهان الذين بدأت الصين بتوطينهم في شينغيانغ منذ تسعينيات القرن

الماضي هم الذين يعيشون الرفاهية الحقيقية، وبفعل سياسة إغراق الإيغور ببحر من الهان يكاد يصبح الإيغور أقلية في أرضهم التاريخية ليشكلوا ٥٠٪ فقط من سكان الإقليم مقابل أكثر من ٤٠٪ للهان الذين كانوا يشكلون في السابق نسبة لا تزيد على ١٠٪ فقط.

ووسط هذا الواقع المؤلم يلجأ الإيغور إلى المواجهة أحيانًا، فقد شهد إقليم شينغيانغ ما بين عامي ٢٠٠٨م و٢٠١٣م إحدى وعشرين حادثة عنف كبيرة بينها خطف للطائرات، وهجوم بالسكاكين، وتفجيرات انتحارية، في المقابل يفضل بعض الإيغور الهروب من بلدهم، والعيش مسالمين في بلاد أخرى أو الالتحاق بجماعات متشددة تنتشر حول العالم.

وفي سياق محاولة السلطة كسر وكبت الهوية الدينية تتنامى مقاومة فكرية سرية من خلال المدارس التي تزدهر تحت الأرض بعيدًا عن أعين السلطات الصينية.

التقسيم الصيني للمسلمين في الصين

ونتيجة للسياسات العنصرية التي تتبعها السلطات هناك؛ فإنها تقسم المسلمين هناك إلى فئتين: إسلام ترضى عنه الصين، ويخضع لسلطتها الكاملة، وإسلام لا يمكن كبحه بسهولة فيحل عليه نار غضب السلطات الصينية.

ويبحث الإيغور عن حقهم في الاستقلال والحياة كما يريدون، لكن تحل عليهم لعنة ثروة إقليمهم الباطنية والثروات المعدنية التي مازالت موجودة في باطن الأرض والتي لن تتخلى عنها الصين في سياق صعودها كقوة اقتصادية عظمى.

وبعد ١٣٠٠ عام من دخولهم في الإسلام كما خرج من جزيرة العرب؛ يبدو أن خيارهم الوحيد هو دخولهم الإسلام كما تريده الصين بعيدًا جدًا عن عالم إسلامي مليء بالفوضى والصراعات.

وفي ظل تلك الخيارات يبقى السؤال يعيد نفسه من جديد: هل يتخلى الإيغور عن مطالبهم بالاستقلال، أم أنهم سيقفون وحيدين في مواجهة أقوى السلطات البوليسية في عالمنا الحاضر، ولغة المصالح التي توضع في مقدمة الأولويات، في ظل عودة التكتلات الاقتصادية للمستعمرين الجدد، وبزوغ العنصرية البغيضة التي تتغلغل كل يوم في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

طريق الحرير الجديد والسيطرة على إقليم الإيغوريين

وعلى الرغم من أنه ليس هناك بيانات رسمية من الحكومة الصينية، ولكنه وفقًا للمنظمات الحقوقية، وحكومات أجنبية، فإن ما يصل إلى مليون صيني أو يزيدون محتجزون في معسكرات إعادة التأهيل في هذه المنطقة غير الهادئة، ويعد القاسم الأعظم المشترك بين هؤلاء المحتجزين هو أنهم ليسوا من قومية الهان التي ينتمي إليها أغلب شعب الصين، ولكنهم في الغالب من الأقليات الإسلامية.

ويُعد أغلب المحتجزين من مسلمي الإيغور، وهي الأقلية الصينية التي يبلغ تعدادها نحو عشرة ملايين نسمة، وهم على قرابة من الأتراك، في حين أن آخرين ومنهم على سبيل المثال «خيرت ساماركان» من شعب الكازاخ أو الأوزبيك أو القرغيز، ظل ساماركان ستة أشهر في أحد هذه المعسكرات، ولم يعد القابضون على السلطة في بكين ينفون حقيقة وجود تلك المعسكرات، ولكنهم يرفضون اتهامات التعذيب، حيث أصبحت تتحدث بدلاً من ذلك عن مراكز التأهيل الوظيفي قائلة: إن هذه المراكز تستخدم كأحدث وسيلة في مكافحة الإرهاب!!

وبالفعل فإن شينجيانج تعتبر إقليمًا مستقلاً وهي بؤرة صراع منذ وقت طويل؛ حيث تكررت كثيرًا الاحتكاكات بين الإيغوريين وغيرهم من الأقليات الأخرى، والصينيين من عرق الهان، وتشعر الأقليات السكانية القاطنة في الإقليم بالقهر الاقتصادي والسياسي والثقافي والاستغلال من قبل صينيي الهان الذين يحكمون الإقليم، وفي المقابل فإن الحكومة الصينية تتهم مجموعات من الإيغور بأنها تسعى للانفصال عن الصين.

كما تدفع الحكومة والحزب الحاكم في الصين بفكرة «طريق الحرير الجديد» حتى تصبح شينغيانغ من خلاله عند تقاطع طرق للتجارة مع آسيا الوسطى؛ وذلك لأن شينغيانغ تقع على الحدود مع الهند وباكستان وطاجكستان وقيرغزيا «قيرغزستان» وكازاخستان وروسيا ومنغوليا.

وأخيرًا وليس آخرًا فإننا ندقّ ناقوس الخطر المحدق الذي يحيط بهذا الشعب المسلم ويفتته ويقطع أوصاله كما وقع ويقع وسيقع في أقطار أخرى وشعوب ودول وأقليات إسلامية، فهل يفيق المسلمون قبل فوات الأوان، وقبل ضياع شعب آخر من الشعوب الإسلامية؟!

فاللهم اجمع شمل المسلمين في شتى بقاع الأرض، وأهلك أعداءك أعداء الدين، وفرّج الكرب عن المكروبين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الفَتْحِ

الحلقة الثامنة

قال تعالى: « وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (الفتح: ٢١- ٢٥)

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قوله تعالي: «وَأُخْرَى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا»: يقول تعالى ذكره ووعدكم أيها القوم ربكم فتح بلدة أخرى لم تقدروا على فتحها، قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها لكم. عن قتادة رحمه الله قال: «بلغنا أنها مكة».

قال الطبري رحمه الله: وهذا القول الذي قاله قتادة أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة أنه محيط بقرية لم يقدروا عليها، ومعقول أنه لا يقال لقوم لم يقدروا على هذه المدينة، إلا أن يكونوا قد راموها فتعذرت عليهم، فأما وهم لم يروموها فتتعذر عليهم فلا يقال: إنهم لم يقدروا عليها. فإذ كان ذلك كذلك، وكان معلوما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خيبر لحرب، ولا وجه إليها لقتال أهلها جيشا ولا سرية، علم أن المعني بقوله: «وأخرى لم تقدروا عليها» غيرها، وأنها هي التي قد عالجها ورامها، فتعذرت، فكانت مكة وأهلها كذلك، وأخبر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أحاط بها وبأهلها، وأنه فاتحها عليهم، «وكان الله على كل شيء قديرا» يقول: وكان الله على كل ما يشاء من الأشياء ذا قدرة، لا يتعذر عليه شيء شاءه. (جامع البيان: ٢٦/٩١و٩٢)

ثم يخبر الله تعالى-وهو الذي قد أحاط بكل شيء علما- عن شيء لم يكن لو كان كيف كان يكون، فيقول سبحانه:

«ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا»، فهم لم يقاتلوهم ولم يولوا الأدبار، لكن الله

تعالى يعلم ما كان وما سيكون، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

قال ابن كثير رحمه الله: يقول عز وجل مبشرًا لعباده المؤمنين، بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ولانهزم جيش الكفر فارًا مدبرًا، لا يجدون وليًا ولا نصيرًا، لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين.

ثم قال تبارك وتعالى: «سنة الله التي قد خلت من قبل»، أي هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والايمان في موطن الا نصر الله الايمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين، نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم. (تفسير القرآن العظيم: ٤/ ١٩٢).

«ولن تجد لسنة الله تبديلا» يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولن تجد يا نبينا لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرًا، بل ذلك دائم، للإحسان جزاؤه من الاحسان، وللإساءة والكفر العقاب والنكال.

«وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا»:

يعني أن الله كف أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يلتمسون غرتهم ليصيبوا منهم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بهم أسرى، فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عليهم ولم يقتلهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ثمانين رجلًا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلمًا فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: «وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم». (جامع البيان: ٢٦/ ٩٣).

«هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما»:

يقول تعالى ذكره: هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدوكم أيها المؤمنون بالله عن دخول المسجد الحرام، وصدوا الهدي معكوفا أي محبوسا عن أن يبلغ محله أي محل نحره، وذلك دخول الحرم، والموضع الذي إذا صار إليه حل نحره. (جامع البيان: ٢٦/ ٩٥و٩٦). كما قال تعالى: «ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ» (الحج: ٣٣).

وفائدة ذكر هذا الحال التشنيع على الذين كفروا في صدهم المسلمين عن البيت بأنهم صدوا الهدايا أن تبلغ محلها، حيث اضطر المسلمون أن ينحروا هداياهم في الحديبية، فقد عطلوا بفعلهم ذلك شعيرة من شعائر الله، ففي ذكر الحال تصوير لهيئة الهدايا وهي محبوسة.

ومعنى صدهم الهدي: أنهم صدوا أهل الهدي عن الوصول إلى المنحر من منى، وليس المراد: أنهم صدوا الهدايا مباشرة، لأنه لم ينقل أن المسلمين عرضوا على المشركين تخلية من يذهب بهداياهم إلى مكة لتنحر بها. (التحرير والتنوير ٢٦/ ١٨٨).

وقد سبق في المقدمة في ذكر وقائع الحديبية: قال الزهري: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم، حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمًا.

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رحم الله

المحلقين». قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال: «رحم الله المحلقين». قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال: «رحم الله المحلقين». قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال: «والمقصرين». (صحيح البخاري ١٧٢٧).

ثم بين الله تعالى الحكمة من كف أيدي المؤمنين عن المشركين يوم الحديبية فقال: «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما».

يقول تعالى ذكره: ولولا رجال من أهل الإيمان ونساء منهم أيها المؤمنون بالله أن تطئوهم بخيلكم ورجلكم لم تعلموهم بمكة، وقد حبسهم المشركون بها عنكم، فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج إليكم فتقتلوهم، «فتصيبكم منهم» أي: من جهتهم «معرة» أي: مشقة بما يلزمهم في قتلهم من كفارة وعيب، وأصل المعرة: العيب، مأخوذة من العر وهو الجرب، وذلك أن المشركين سيقولون: إن المسلمين قد قتلوا أهل دينهم- قال الزجاج رحمه الله: لولا أن تقتلوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات فتصيبكم منهم معرة، أي: إثم، وكذا قال الجوهري رحمه الله، وبه قال ابن زيد رحمه الله. وقال الكلبي ومقاتل وغيرهما: المعرة: كفارة قتل الخطأ، كما في قوله: «فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة». (فتح القدير ٦٣/٥و٦٤).

وقوله تعالى: «بغير علم» تفضيل للصحابة وإخبار عن صفتهم الكريمة من العفة عن المعصية والعصمة عن التعدي، حتى لو أنهم أصابوا من ذلك أحدا لكان عن غير قصد. وهذا كما وصفت النملة عن جند سليمان عليه السلام في قولها: «لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون» (النمل: ١٨). (الجامع لأحكام القرآن ٢٨٦/١٦).

وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها، ولكنه حال بينكم وبين ذلك «ليدخل الله في رحمته من يشاء». فاللام في «ليدخل» متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام، يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها (معالم التنزيل: ١٨٧/٥). وكذلك كان، فقد أسلم منهم كثيرون بعد الصلح ودخلوا في دين الله فأدخلهم الله في رحمته، «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» (البقرة: ١٠٥).

وقوله تعالى: «لو تزيلوا» أي: لو تميز الذين في مشركي مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم «لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما» يقول: لقتلنا من بقي فيها بالسيف، أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل. (جامع البيان: ١٠٢/٢٦و١٠٣).

وقال قتادة رحمه الله في هذه الآية: إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة. (معالم التنزيل: ١٨٧/٥).

فائدة:

قال القرطبي -رحمه الله-: هذه الآية دليل على مراعاة الكافر في حرمة المؤمن، إذ لا يمكن أذية الكافر إلا بأذية المؤمن. قال أبو زيد: قلت لابن القاسم: أرأيت لو أن قوما من المشركين في حصن من حصونهم، حصرهم أهل الإسلام وفيهم قوم من المسلمين أسارى في أيديهم، أيحرق هذا الحصن أم لا؟ قال: سمعت مالكا وسئل عن قوم من المشركين في مراكبهم أنرمي في مراكبهم بالنار ومعهم الأسارى في مراكبهم؟ قال: فقال مالك لا أرى ذلك، لقوله تعالى لأهل مكة: «لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما». وكذلك لو تترس كافر بمسلم لم يجز رميه. وإن فعل ذلك فاعل فأتلف أحدا من المسلمين فعليه الدية والكفارة. فإن لم يعلموا فلا دية ولا كفارة، وذلك أنهم إذا علموا فليس لهم أن يرموا، فإذا فعلوه صاروا قتلة خطأ والدية على عواقلهم. فإن لم يعلموا فلهم أن يرموا. وإذا أبيحوا الفعل لم يجز أن يبقى عليهم فيها تباعة. (الجامع لأحكام القرآن ٢٨٦/١٦و٢٨٧).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التطبيق المعاصر للزكاة

أحكام وحساب مصارف الزكاة ومؤسساتها المعاصرة

إعداد أ.د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

من المقاصد السامية للزكاة تطهير القلوب، وتزكية النفوس، وإصلاح الصدور، كما أنها تحقق التضامن والتكافل الاجتماعي بين الناس، فلا يقتصر أثرها الطيب على الأفراد فقط، بل تعالج المجتمع من أمراضه المختلفة، وهذا نلاحظه في المنهج الرباني العظيم في توزيع حصيلتها، حيث تحقق التنمية الاجتماعية والاقتصادية وكذلك العزة السياسية للمسلمين، وهذا لن يتحقق إلا إذا وُزعت بالحق، ومُنعت من الباطل، ويعني ذلك الالتزام بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية في جبايتها وصرفها.

مصارف الزكاة في ضوء الشريعة الإسلامية:

لم يَكل الله سبحانه وتعالى توزيع الزكاة إلى أحد من البشر؛ لعلمه بقصورهم، فتولى بذاته العلية تقسيمها كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: «إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ٦٠)، ولقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه أبو داود عن زياد بن الحارث، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايعته وذكر حديثا طويلاً، فأتاه رجل فقال: أعطني من الصدقة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يوص بحكم نبي ولا غيره في الصدقة حتى حكم

فيها، فجزَّأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من هذه الأجزاء أعطيك حقك» (رواه أبو داود).
ولقد أجمع الفقهاء على مصارف الزكاة الثمانية الواردة في الآيـة الكريمة، وإن اختلفوا في تفسير مدلول كل مصرف بين المضيِّقين والموسِّعين، كما اختلفوا كذلك في المقادير التي تُعطى لكل منهم على النحو الذي سوف نفصِّله فيما بعد.

وفيما يلي نبذة مختصرة عن مدلول كل مصرف.

المصرف الأول والثاني: الفقراء والمساكين:

لقد اختلف الفقهاء في تحديد دقيق للفقير والمسكين، ولكنهم يُجمعون على أنهم يملكون ما دون النصاب، أي ليس عندهم ما يكفيهم مؤنه الحياة الكريمة، من مطعم وملبس ومسكن وعلاج وتعليم ونحو ذلك له ولمن يعول شرعاً حسب المفصل في كتب الفقه.

وُيعْطى الفقراء والمساكين ما يكفيهم الضروريات والحاجيات لمدة سنة، وهذا هو الرأي الأرجح عند جمهور الفقهاء؛ لأن الزكاة حولية تتكرر كل عام، وإن كان هناك من فائض في الحصيلة يُعطى لهم مؤنة العمر كله؛ كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المصرف الثالث: العاملون عليها:

هم الذين يوليهم الإمام أو نائبه عملاً من أعمال جباية الزكاة وتوزيعها، وما يدخل في نطاق ذلك، ويُعْطى لهم ولو كانوا أغنياء حتى يُحْفَظ عليهم دينهم.

ويـرى بعض الفقهاء أن يُعْطى للعاملين الثمن، ويرى البعض أن الأمر متروك لما يراه ولي الأمر حسب جُهد كل عامل وأجور المثل، ويرى البعض أن يأخذوا راتبهم من بيت المال.

المصرف الرابع: المؤلفة قلوبهم:

وهم إمَّا كفار يُرْجى إسلامهم أو كفّ شرهم وأذاهـم عن المسلمين، وامـا مسلمون ممن يرجى تقوية إسلامهم وايمانهم.

وينقسم المؤلفة قلوبهم إلى نوعين هما:

- كفار: من يرجى إسلامهم، فيعطى لهم من الزكاة لحثهم ودفعهم إلى الإسلام (مثلما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صفوان بن أميَّة، وكان يومئذ كافراً. كما تُعطى لمن يخشى شره)، فيرجى من إعطائهم من الزكاة كفّ شرهم.
- مسلمون: وهم أنواع:
- مـن دخـلـوا الإسـلام حـديـثـا لتثبيتهم وعونهم.
- من دخلوا الإسلام وكانوا زعماء في قومهم ولهم نظراء ما زالوا كافرين لتثبيتهم.
- من فتر إيمانهم وخشي ارتدادهم بسبب الفقر والعوز وذلك لتثبيتهم.

والقدر الذي يُعطى للمؤلفة قلوبهم متروك لاجتهاد ولِي الأمر ونائبه حسب الأحوال، وحال من تُعطى لهم الزكاة، وحسب مقدار الحصيلة المتوفرة ودرجـة احتياج بقية المصارف الأخـرى من منظور الأولـويـات الإسلامية الضروريات والحاجيات.

المصرف الخامس: في الرقاب:

ويقصد بهذا المصرف عتق العبيد ومن في حكمهم من ملكية أسيادهم، حتى يكون ولاؤهم لمن أعتقهم أي يكون ولاؤهم للإسلام، وهذا نموذج حي من نماذج تحرير الإنسان من العبودية إلا لله، ويدخل في نطاق فك الرقاب في التطبيقات المعاصرة، المعاونة في تحرير رقبة الأسير المسلم الذي يتحكم فيه الكفرة، لأن في ذلك محافظة على عزة الإسلام، وحفظ المسلمين الأسرى من الكفر.
والقدر الذي يُعطى للعبد أو الأسير متروك لاجتهاد ولي الأمر ونائبه في ضوء الحصيلة المتوفرة والأوليات الإسلامية من ضروريات وحاجيات.

المصرف السادس: في الغارمين:

هم الذين أثقلتهم الديـون، وهـم نوعان: غـارم لمصلحة نفسه في أمـر مباح شرعا،

وغارم في مصلحة الناس عند المصالحة بين المتخاصمين، كما يدخل في زمرة الغارمين من أثقلته الديون التجارية في غير معصية.

والقدر الذي يعطى لمن يُقال من عثرته يتوقف على مقدار حصيلة الزكاة.

المصرف السابع: في سبيل الله:

المعنى العام لهذا المصرف، هو الإنفاق على أي عمل لجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الكافرين السفلى، وبمعنى آخر الإنفاق في مصالح المسلمين العامة؛ مثل إنشاء المدارس والمعاهد والمساجد والكليات والمستشفيات وما في حكم ذلك الذي يدخل في نطاق الحاجات الأصلية للإنسان.

ولقد اختلف العلماء والفقهاء من السلف والخلف حول نطاق أو حدود مصرف في سبيل الله، فمنهم المضيِّق، ومنهم الموسِّع، ولكل منهم أدلته في ضوء الظروف والأحوال التي تتغير من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، وكلهم على فقه ورشد في الاجتهاد، ولكن الذي نميل إليه هو المعنى الموسع في ضوء الأولويات الإسلامية الضروريات والحاجيات.

ومن النماذج المعاصرة التي تدخل في نطاق مصرف في سبيل الله:

- الإنفاق على الجيوش الإسلامية.
- الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة.
- إنشاء المؤسسات الإسلامية الخيرية والاجتماعية والتعليمية الإسلامية.

والقدر الذي يعطى لهذا المصرف يترك لولي الأمر ونائبه، ولكن هناك أولوية في حالات الغزوات والفتوحات والدفع عن المسلمين.

المصرف الثامن: ابن السبيل:

ويُقصد بهذا المصرف إعطاء الشخص المسافر الغريب في أرض ليس له فيها مال من الزكاة، إن كان غنيًا فيأخذ هذا المال على سبيل القرض الحسن على أن يرده بعد عودته إلى وطنه، وإن كان فقيرًا فلا يرده باعتباره من الفقراء والمساكين ويُعطى له ما يكفيه حتى يعود إلى وطنه.

أثر مصارف الزكاة على الأفراد والمجتمعات:

من يتدبر بإمعان أثر الزكاة على هذه المصارف الثمانية، يستخلص الإعجاز الإلهي في أثر الزكاة في التربية الروحية، وهي تقوية الإيمان والامتثال والطاعة والشكر لله وتحرير النفس من عباده المال وسطوته، وأثر الزكاة في التربية الخلقية؛ حيث تغرس الزكاة عند المزكي فضيلة الإخلاص والصدق والأمانة والبذل والعطاء والرحمة والتراحم، وأثر الزكاة في تحقيق العدالة الاجتماعية؛ حيث تحقق التضامن والتكافل بين الناس، وتقريب الفوارق بين الطبقات وتقوي روح الحب والمودة، وبذلك يوجد المجتمع الفاضل، كما أن للزكاة أثرًا على التنمية الاقتصادية حيث تمنع الاكتناز، وتساهم في علاج مشكلة الفقر والتضخم والبطالة وسوء توزيع الدخول، كما أن للزكاة أثراً فعالاً في تحقيق العزة السياسية.

وتأسيساً على ذلك فإن لمصارف الزكاة دورًا في:

- رعاية الفرد: حيث توفَر له حاجاته الأساسية، وتحفظ له دينه وعقله ونفسه وعرضه وماله، وهذا بدوره يؤثر على استقرار البيت من حيث توفير مقوماته.
- رعاية المجتمع: حيث تساهم في إيجاد المجتمع الفاضل المتكامل المتضامن القوي العزيز الحر.

ومن الفرد الآمن ومن المجتمع الفاضل تكون الحكومة القادرة على أن تحفظ الحاجات الأساسية لرعاياها؛ وهي: العقيدة والنفس والعقل والعرْض والدين والمال.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

من صفات أهل القرآن:
سلامة المعتقد

بقلم د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إن القرآن الكريم هو منبع العقيدة الصافية، ونبراس الحق المبين، ومصدر التلقي لمسائل الاعتقاد، والحكم الفصل في كل نزاع، قال الله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) (النحل: ٨٩).

وقال تعالى: (كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (البقرة: ٢١٣).

وأهل القرآن يهتدون بهديه ويتعلمون منه أمور ويعرفون به ربهم بأسمائه وصفاته، ويفردون الله بالعبادة ويتجنبون الشرك والزيغ والضلال، فهم أهل العقيدة الصحيحة والقلوب السليمة.

وفي هذا العدد نقلّب صفحات من سِيَر وصفات أهل القرآن في كتاب (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار) للإمام الذهبي، ونقف على بعض الوقفات التي تدل على حرص أهل القرآن على صحة العقيدة واتباع السنة والبعد عن كافة صور الشركيات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

سعيد بن جبير: قال: لدغتني عقرب، فأقسمتْ عليَّ أمي أن أسترقي، فأعطيت الراقي يدي التي لم تُلدغ، وكرهتُ أن أحنثها. (ص ٤٨): فهو رحمه الله يريد أن يحقّق التوكل، وأن يتصف بصفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب فلا يطلب الرقية من غيره، ولبرّه بأمه لا يحب أن يحنثها في يمينها.

حفص بن عمر الدوري (الراوي عن أبي عمرو والكسائي): قال أحمد بن فرح الضرير: سألت الدوري ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق (ص ٢١٧).

أبو بكر بن عياش (شعبة الراوي عن عاصم) قال: من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو الله لا نجالسه ولا نكلمه (ص ١٣٨).

فهو يؤمن بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ويتبرأ ممن قال بخلق القرآن، ويثبت خلافة أبي بكر الصديق فيقول: أبو بكر الصديق خليفة رسول الله في نصّ القرآن؛ لأن الله تعالى يقول: (للفقراء المهاجرين) إلى قوله: (أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ) (الحشر:٨)؛ فمن سماه الله صادقًا فليس يكذب، هم قالوا: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص ١٤٠).

اتباع السنة

أهل القرآن أحرص الناس على اتباع السنة فهم يمتثلون قول الله تعالى: (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (النور: ٥٦)، وقوله تعالى: (مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ) (النساء: ٨٠).

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحفظ سبعين سورة من فمه صلى الله عليه وسلم، روى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن يزيد قال: سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبيَ صلى الله عليه

وسلم حتى نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا ودلاً وهديًا بالنبي صلى الله عليه وسلم (من حين يخرج حتى يواريه بيته) من ابن أم عبد (صحيح البخاري: ٣٧٦٢، ٦٠٩٧). وابن أم عبد هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه، سيد القراء قال: "عليكم بالسبيل والسنة".. وقال: "وإن اقتصادًا في سبيل وسُنَّة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسُنَّة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا أو اقتصادًا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم" (رواه عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد والرقائق ص ٤٥٤، وابن أبي شيبة في المصنف ١٢/٩١-٩٢، وأحمد في الزهد، وأبو داود في كتاب الزهد ص ١٨٣).

أبو العلاء الهمذاني العطار: صاحب التصانيف في الحديث والقراءات والتجويد: أورد الإمام الذهبي في ترجمته: كانت السنة شعاره ودثاره قولاً وفعلاً (ص ٥٧٦).

النهي عن البدع والأهواء المضلة

عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي: أحد القراء العشرة، قال عنه يحيى بن الحارث: "كان ابن عامر قاضي الجند، ورئيس المسجد، لا يرى فيه بدعة إلا غيَّرها" (ص ٦٩).

أبو عمرو بن العلاء البصري: أحد القراء السبعة، قال اليزيدي ومحمد بن حفص: تكلم عمرو بن عبيد في الوعيد سنة، فقال: أبو عمرو: وإنك لألكن الفهم؛ إذ صيَّرت الوعيد الذي في أعظم شيء مثله في أصغر شيء... قال: ووراء وعيده عفوه وكرمه، ثم أنشد:

وإني وإن أوعدته ووعدته

لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

(ص ١٠٠).

سلام بن سليمان أبو المنذر البصري المقرئ، كان ينكر على القدرية، وكانوا يؤذونه ويكنونه أبا المدبر (ص ١٣٤).

وأتاه رجل بمصحف فقال: أليس هذا ورق وزاج؟ فقال: قم يا زنديق (ص ١٣٥).

أبو عبيد القاسم بن سلام قال: عاشرت الناس وكلمت أهل الكلام فما رأيت قومًا أوسخ وسخًا، ولا أضعف حُجَّة من الرافضة، ولا أحمق منهم. (ص ١٩٧).

أبو شعيب السوسي (الراوي عن أبي عمرو): كان قد زوَّج بنته رجلاً، فلما وقف في القرآن، فرَّق بينه وبين ابنته، فلما علم بذلك الإمام أحمد بن حنبل قال: أحسن السوسي، عافاه الله (ص ٢١٨).

معنى وقف في القرآن: أي: لا يقول في القرآن أنه كلام الله، ولا يقول مخلوق، والواقفة شر من الجهمية.

أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي الأندلسي المقرئ الحافظ، كان رأسًا في علم القرآن، قال عنه أبو القاسم بن بشكوال: كان سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والبدع، قامعًا لهم غيورًا على الشريعة، شديدًا في ذات الله (ص ٤١٢).

أبو الفضل الأنصاري الصقلي جعفر بن أبي طاهر المقرئ النحوي: مر رجل من دعاة الباطنية يدعو لبني عبيد بمصر فنادى (يا قومنا أجيبوا داعي الله) فتلا أبو الفضل: (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) (ص ٥١٦).

ابن الحطيئة: أحمد بن عبد الله بن هشام أبو العباس اللخمي المغربي الفاسي المقرئ، اختاره أهل مصر ليكون قاضيًا لهم سنة ٥٣٣هـ؛ فاشترط ألا يقضي بمذهب الرافضة، فلم يجيبوه إلا أن يحكم على مذهب الإمامية، فولَّوا غيره (ص ٥٥٩).

وهكذا نرى بعض سير أئمة القراءات وأهل القرآن في لزوم العقيدة الصافية واتباع السُّنة والحذر من الشبهات والآراء الضالة، فرحمهم الله رحمة واسعة، ورزقنا وإياكم الثبات على الرشد والتمسك بالقرآن العظيم وبهدي سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وإلى لقاء آخر، والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

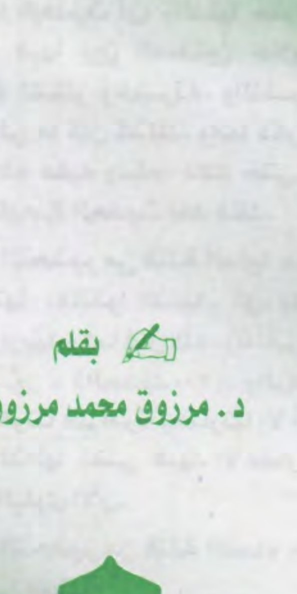

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد جعل الله هذه الدنيا دار ممر لا مقر، والتواء لا استواء؛ إذ جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، وجعل بلاءها لعطاء الآخرة سببًا؛ فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء.

الحديث:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها، فَيَنْظُرَ كيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيا، واتَّقُوا النِّساءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسْرائِيلَ كانَتْ في النِّساءِ».

أولاً: تخريج الحديث:

أخرجه مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء (٤/ ٢٠٩٨)، رقم: (٢٧٤٢).

ثانيا: التعريف براوي الحديث:

هو: الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، وهو مشهور بكنيته، استُصْغِرَ بأُحُد، واستُشْهِدَ أبوه بها، وأوَّل مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم اثنتي عشرة (١٢) غزوة.

وكان رضي الله عنه من أفاضل الصحابة، حفظ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم سُننًا كثيرة، وله في كتب الحديث ألف ومائة وسبعون (١١٧٠) حديثًا.

وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم، وقد روى له جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين، وتُوفِّي أبو سعيد يوم الجمعة سنة أربع وسبعين (٧٤)، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة. (ينظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر

(٢/ ٤٤)، «أسد الغابة» (٢/ ٢٨٩)، «الإصابة» لابن حجر (٢/ ٣٢).

ثالثا: مفردات الحديث:

حلوة خضرة: حلوة الطعم، نضرة خضراء المنظر؛ كالفاكهة الخضراء الحلوة.

مستخلفكم: جعلكم خلائف فيها تتوارثونها، يَخْلُف بعضكم بعضًا.

اتقوا الدنيا واتقوا النساء: احذروا فتنة الدنيا وفتنة النساء.

رابعا: الشرح:

- «إن الدنيا حلوة خضرة» حُلوةٌ في مذاقها، خَضِرةٌ في مرآها، فأطيب ما يُذاق، وأفضل ما يُذاق الحُلو، وأفضل الألوان الخُضرة، فهذه الدُّنيا تتشكَّل للنَّاس وتستهويهم وتغُرُّهم بزُخرفها، فتبدو كأنها حُلوةٌ خَضِرة، وإلا مثل هذا لا ينطلي على من عرف حقيقة الدُّنيا، وأنَّها ملعونة؛ لكنَّها تبدُو للنَّاس بهذا الشَّكل حُلوةٌ خَضِرة؛ لكنَّ الله-جل وعلا- مُستخلفكم فيها، جعلكُم خلائف يخلُفُ بعضكُم بعضًا، وطلب منكم عمارتَها، لتتمكَّنُوا من عبادة ربِّكم.

- «مُستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملُون؟» يختبركم ماذا أنتُم عاملُون على ظهر هذه الدُّنيا؟ هل أنتُم عاملُون ما يُرضي الله-جل وعلا- أو ما يُغضبُهُ؟

- «فاتقوا الدُّنيا» احذَرُوها؛ لأنَّها تظهر لكُم بمظاهر تستهويكم؛ لكنْ اعرفُوا حَقيقتها، وأنَّها دار مَمَر وعُبُور وليست دار مَقَر، كرجُلٍ استَظلَّ بظلِّ دوحة، مثل هذا يُطيل الأمل؟ لا.

- «واتَّقوا النِّساء» لا شكَّ أنَّ النِّساء فتْنة، وإذا خَرجت المرأة استَشرفها الشَّيطان، وتَبعتْها الأنظار؛ فعلى المرأة أنْ لا تكُون سببًا في إضلال النَّاس وإغوائهم، عليها إذا خَرَجتْ أنْ يكُون خُرُوجُها لحَاجة، وإلا فالأصل هُو القرار في البيت، كما قال الله-جل وعلا-: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» (سورة الأحزاب: ٣٣)؛ لكنْ إذا خَرجت المرأة، تَخرُج تفلة، غير مُتطيِّبة، وبالمقابل على الرَّجُل أنْ يَغُضَّ بَصرَهُ ويَصْرِفَهُ عن النِّساء.

- «واتَّقُوا النِّساء؛ فإنَّ أوَّل فتنة بني إسرائيل كانت في النِّساء» أوَّل فتْنتهُم كانت في النِّساء، ثُمَّ بعد ذلك استُدرجُوا في المعاصي بعد هذه الفتْنة، وزاوَلوا غيرها من الفتن إلى أنْ خَرجُوا من دينهم. والله المُستعان (ينظر شرح النووي على مسلم ١٧/ ٢١١. بتصرف).

خامسا: مما يستفاد من الحديث:

١- حرصه-صلى الله عليه وسلم- على توجيه أمته، وهي عقيدة تدعو العبد إلى محبته صلى الله عليه وسلم واتباعه.

٢- بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم وحسن بيانه:

إذ يخبر الرسول-صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث أن: «الدنيا حلوة خضرة» فجمع فيها بين الصفتين حلاوة الطعم ونضارة المنظر وخضرته، والنفس بطبعها تميل إلى ما كان كذلك، وانما ذكر الرسول-صلى الله عليه وسلم- ذلك حتى ينبه إلى الأمر المهم في الحديث بعد ذلك.

٣- التحذير من فتنة الدنيا عامة وبيان حقيقتها: «فاتقوا الدنيا»، أي: بالحذر من الاغترار بها؛ وكما قال الله «وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ» (الحديد:٢٠)، والركون إليها؛ فرغم كوننا قد أمرنا بعمارتها إلا أنها ليست غاية لذاتها تفنى فيها الأعمار كما هي عموم البلوى الآن.

٤- التحذير من فتنة النساء خاصة وان كانت من الدنيا:

وقد بيَّن الشارع أن من أسباب عظم هذه الفتنة هو ما جُبلتْ عليه نفوس الناس من الميل للمرأة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قول الله تعالى: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ» (آل عمران:١٤)، فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع، قبل الذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث، وقبل فتنة الأولاد، قبل جميع الفتن، بدأ الله بهن في الذكر: حُبُّ الشَّهَوَاتِ منَ النِّسَاء، ومع أنها ناقصة العقل والدين فإنها تحمل الرجال على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغلهم عن طلب أمور الدين، وحملهم على التهالك على طلب الدنيا، وذلك أشد الفساد.

وقال الإمام النووي-رحمه الله تعالى-: «وتدخل في النساء الزوجات وغيرهنَّ، وأكثرهنَّ فتنة الزوجات، ودوام فتنتهنَّ وابتلاء أكثر الناس بهنَّ»(شرح مسلم ١٧/٥٥).

ونقول: لا يخفى بالطبع أن لكل قاعدة شواذ غير أننا نتكلم عن عموم الطباع والأحوال، وما قصة الراهب العابد الذي انقطع عن الدنيا كلها وترك ملذاتها للعبادة؛ فلما خلا بامرأة كان منه ما كان من كبائر الزنا والقتل وغيرهما؛ فليست هذه القصة عن القارئ ببعيدة.

٥- الاعتبار بالأمم السابقة: (فإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء).

سادسًا: شبهة وردها:

أرادوا من المرأة إفساد أمة الإسلام؛ فرفعوا رايات باطلة: أخرجوا بها المرأة، فبها يستمتعون ولأمة الإسلام يهدمون، فكان من ذلك:

خروج المرأة للعمل بغير ضابط شرعي، ولم يكن خروجها إلا لعلل ما أنزل الله بها من سلطان؛ كأن يغرر بها المغررون فيقولون لها: لا بد من إثبات ذاتك، أو من تأمين نفسك تجاه الجميع حتى زوجك، أو لدواعي رقي المجتمع، أو نحو ذلك من عناوين ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

وهذا مما ابتُلِيَتْ به الأمة؛ إذ لما خرجت المرأة للعمل دون حاجة، ولمجرد إثبات ذاتها كما أوهموها وزعموا فإنها بذلك أخذت مكان رجل فأقعدته في البيت، وهو المكلف بالإنفاق على أسرته.

وقد بيَّن النبي-صلى الله عليه وسلم- في خروج المرأة عمومًا بيانًا واضحًا، وقال- صلى الله عليه وسلم-: «صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها»؛ فكيف إذا خرجت تزاحم الرجال، أو تعمل في أماكن مختلطة؟!

هذا وخروجها من بيتها يعرِّضها للابتزاز والأذى، ولعل هذا هو مقصد هؤلاء المغرورين بخروجها ولا تخفى الإحصائيات المنشورة في بلاد المسلمين، وفي غيرها من تعرُّض المرأة للأذى بخروجها من بيتها، وهي الجوهرة المصونة التي أمر الإسلام بصيانتها وجعل من قوامة الرجل عليها أن يقوم على خدمتها كما بيَّنه بعض المفسرين من قوله تعالى: «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ» (النساء: ٣٤).

وأما عن دعواهم من خروجها أنه تطوُّر، وأنه بُعد عن الجمود والتخلف؛ فنقول: فليبين لنا هؤلاء ويخبرونا بأجدادهم الذين أخرجوا جداتهم مختلطين بالرجال، هل صاروا بهذا في مصاف الدول المتقدمة، أم أنهم رجعوا في ذيول المتخلفين؟ فلم يجدوا أنفسهم لا مع هؤلاء السعداء من المتبعين للهدي الكريم كانوا، ولا حتى مع من قلدوهم من المخالفين لحقوا.

من مائة سنة ونساؤهم متبرجات، ولا

زالوا في العالم الثالث كما يسميه الأعداء، ولا زال عندهم بطالة وعندهم تخلّف، وعندهم فقر يعيشه أغلب المجتمع، خرجت المرأة وتبرجت، وفعلت كل ما تريد، الجدة متبرجة فما بالك بالحفيدة!، وما زالوا على وضعهم.

وأخيرًا: هدي النبي الكريم ومن تبعه بإحسان خوف السلف من فتنة النساء؛ ومن ذلك: ومن أجل فتنة النساء اتخذ الشارع سائر الإجراءات الكفيلة بحماية الرجل من الوقوع في فتنة المرأة، ومن ذلك:

غض البصر: قال-صلى الله عليه وسلم- : «يا عليُّ لا تُتبع النَّظرةَ النَّظرةَ؛ فإنَّ لكَ الأولى وليسَت لكَ الآخرةُ» (أخرجه أبو داود ٢١٤٩، والترمذي ٢٧٧٧، وحسنه الألباني).

وعن جرير بن عبد الله قال: « سَألْتُ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عن نَظَرِ الفُجاءَةِ؛ فأمَرَنِي أنْ أصْرِفَ بَصَرِي. (صحيح مسلم ٢١٥٩).

ولما رأى الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة صرف وجهه إلى الشق الآخر؛ فقد روى الترمذي أن جاريةً شابةً من خَثْعَمَ استَفْتَتْ النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقالت: إن أبي شيخٌ كبيرٌ، قد أدركَتْه فريضةُ الله في الحجِّ، أفيُجْزِئُ أن أحُجَّ عنه؟ قال: حُجِّي عن أبيك. قال: ولوى عُنُقَ الفضل، فقال العباسُ: يا رسولَ الله، لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابنِ عمِّك؟ قال: رأيتُ شابًّا وشابَّةً، فلم آمَنِ الشيطانَ عليهما » (سنن الترمذي ٨٨٥، وقال: حسن صحيح).

وقال صلى الله عليه وسلم» «إيّاكُمْ والدُّخُولَ على النِّساءِ» فقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ: يا رَسولَ اللَّهِ، أفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ» (صحيح البخاري ٥٢٣٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأَةٍ إلّا ومعها ذُو مَحْرَمٍ، ولا تُسافِرِ المَرْأَةُ إلّا مع ذِي مَحْرَمٍ» (صحيح مسلم ١٣٤١).

هذا وفي معنى النظر كذلك وصف المرأة للرجل الأجنبي حتى كأنه ينظر إليها، ولهذا نهينا عنه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تُباشِرُ المَرْأَةُ المَرْأَةَ، فَتَنْعَتَها لِزَوْجِها كَأنَّهُ يَنْظُرُ إلَيْها » (صحيح البخاري ٥٢٤٠)، وهذه أصل في سد الذرائع، وأن وصف المرأة لرجل أجنبي عنها يؤدي إلى الافتتان بالموصوفة.

وكان السلف رحمهم الله في غاية الحرص على هذه المسألة، قال سفيان: كان الربيع يغض بصره، فمرت به نسوة، فأطرق إطراقاً شديداً، حتى ظن النسوة أنه أعمى، فتعوذت النساء بالله من العمى.

ومنه ما قاله حسان بن أبي سنان لما خرج إلى العيد ورجع، قالت له امرأته: كم من امرأة حسنة قد نظرت اليوم! فلما أكثرت عليه، قال: «ويحك: ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك».

وفي هذا القدر كفاية، ونسأل الله القبول، والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

انتقل إلى رحمة الله تعالى المهندس/ محمد عبدالعزيز مدكور، مهندس المشروعات بالمركز العام بجمعية أنصار السنة، بعد صراع مع المرض، ونسأل الله سبحانه أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة، وأن يجعل مثواه الجنة.

رئيس التحرير

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٨٦)

إعداد/ **علي حشيش**

٧٩٥- « لا يقبلُ اللهُ لصاحب بدعة صومًا، ولا صلاةً، ولا صدقةً، ولا حجًا، ولا عمرةً، ولا جهادًا، ولا صَرفًا، ولا عدلاً، يخرجُ منَ الإسلاَم كما تخرج الشعرة من العجين».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٤٩) قال: حدثنا داود بن سليمان العسكري، حدثنا محمد بن علي أبو هاشم بن أبي خداش الموصلي، قال: حدثنا محمد بن محصن عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عبد الله بن الديلمي عن حذيفة مرفوعًا.

علته محمد بن محصن: قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٧/١٩٦/٦١٧٢): محمد بن محصين العُكاشي، هو محمد بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بن محمد بن عُكاشة بن محصن العكاشي الأَسدي نُسبَ إلى جده الأعلى (محصن) روى عن: إبراهيم بن أبي عبلة، وسليمان الأعمش، وعبد الرحمن بنَ عمرو الأوزاعي وآخرين.

وروى عنه: أبو هاشم محمد بن أبي خداش الموصلي، وأبو خيثمة مصعب بن سعيد، ومحمد بن كامل بن ميمون، ويحيى بن سعيد العطار الحمصي وآخرون.

قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١/١/٤٠): «منكر الحديث».

وهذا المصطلح له معناه عند البخاري، قال الشيخ أحمد شاكر في «الباعث الحثيث» (ص٨٩): «قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين، ففي الميزان للذهبي (١/٥): «نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه منكر الحديث لا تحل الرواية عنه». ولذلك قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٧٧): «محمد بن محصن يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح». اهـ. ونقل الذهبي في «الميزان» (٣/٤٧٦/٧٢٠٢): أن الدارقطني قال: «يضع الحديث»، وأنَّ ابن معين قال: «كذاب». اهـ. فالحديث موضوع.

٧٩٦- « يس لِمَا قُرِئت له».

الحديث لا يصح: أورده السخاوي في «المقاصد» (ح١٣٤٢) وقال: «لا أصل له». اهـ.

وأقره القاري في «المصنوع» (ح٤١٤).

٧٩٧- « كنت كنزًا لا أُعْرَفُ فأحببتُ أن أُعرَفَ فخلقت خلقًا فعرَّفتُهم بي فعرفوني».

الحديث لا يصح: أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع فتاويه» (١٨/١٢٢) وقال: «هذا ليس

من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أعرف له إسنادًا صحيحًا ولا ضعيفًا». وأورده السخاوي في «المقاصد» (ح٨٣٨)، ونقل ما قاله ابن تيمية وأقره، وقال: «وتبعه الزركشي وشيخنا». اهـ. يعني الحافظ ابن حجر، وأورده القاري في «المصنوع» (ح٢٣٢) وقال: «نص الحفاظ على أنه لا أصل له». اهـ.

٧٩٨- «من قذف ذِمِّيًا حُدَّ له يومَ القيامةِ بسياطٍ من نارٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الكبير» (٥٧/٢٢) (ح١٣٥)، وابن عدي في «الكامل» (١٦٧/٦) (١٦٥٣/٣٢) من طريق مصعب بن سعيد أبي خيثمة، عن محمد بن محصن، عن الأوزاعي، عن مكحول، عن واثلة مرفوعًا: وعلته محمد بن محصن، وقد بينا آنفا أنه كذاب يضع الحديث، ولذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٠٥/٢): «كذبوه». فالحديث موضوع: أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٣٠/٣).

٧٩٩- «إنَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ قال لملَكِ الموتِ-إذ جاءَهُ لقَبضِ رُوحِه-: هل رأيتَ خليلًا يُميتُ خليلَهُ؟ فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيتَ محبًّا يكرهُ لقاءَ حبيبِهِ؟ فقال: يا ملكَ الموتِ الآنَ فاقبِضْ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٨٧/٤) وقال: «مشهور». فقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «حديث «إن إبراهيم لملك الموت...» لم أجد له أصلاً».

٨٠٠- «لا تنظُروا في صِغَرِ الذَّنبِ ولكنِ انظروا على من اجترأتم».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧٨/٦)، وابن عدي في «الكامل» (١٦٨/٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٧٧٣/٢) (ح١٢٩٠) من طريق محمد بن كامل عن محمد بن إسحاق العكاشي، عن الأوزاعي، عن حسام بن عطية، عن أبي كبشة، عن عمرو بن العاص مرفوعًا، وعلته محمد بن إسحاق العكاشي، وهو محمد بن محصن، وقد بينا آنفًا أنه كذاب يضع الحديث؛ فالحديث موضوع.

قال أبو نعيم: «تفرد برفعه محمد بن إسحاق». اهـ. لذلك قال ابن الجوزي في «العلل»: «هذا مشهور من كلام بلال بن سعد، وإنما رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابون».

فائدة: هذا الكلام من قول بلال بن سعد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٣/٥)، ولقد بين الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١١٠/١): «أنه ثقة عابد فاضل من الثالثة»، وبما أن الطبقة الثالثة: هي الطبقة الوسطى من التابعين إذن هذا الخبر «مقطوع». قال البيقوني:

«وما أضيف للنبي المرفوع   وما لتابع هو المقطوع»

فالمقطوع من كلام التابعي فمن دونه، والموقوف: من كلام الصحابي، والمرفوع: من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، والمقطوع غير المنقطع: لأن المقطوع من صفات المتن، والمنقطع من صفات الإسناد.

٨٠١- «يا معشرَ الفقراءِ أعطوا اللهَ الرضا مِنْ قلوبِكُمْ تَظفروا بثوابِ فقرِكُمْ، وإلا فلا».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٩٥/٤) مرفوعًا بصيغة الجزم التي توهم الصحة. قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أبي هريرة وهو ضعيف جدًا فيه أحمد بن الحسن بن أبان المصري متهم بالكذب ووضع الحديث». اهـ.

قلتُ: فالحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٣١٩٥- الغرائب الملتقطة)، وعلته أحمد بن الحسن المصري، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٤٩/١): «كذاب دجال من الدجاجلة يضع الحديث على الثقات وضعًا». وقال الدارقطني: «حدثونا عنه وهو كذاب». كذا في «الميزان» (٣٣٠/٨٩/١) للذهبي.

فقه المرأة المسلمة

الحلقة السابعة والعشرون

فقه المرأة في الجنائز

إعداد **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد ذكرنا في الحلقة الماضية كفن المرأة؟ ومقام الإمام من جنازة المرأة؟ والحكم إذا اجتمعت جنائز الرجال والنساء، كيف توضع ليصلى عليها؟ وأيضا صلاة النساء على الجنازة، ونستكمل أحكام الجنائز سائلين الله تعالى أن يتقبل جهد المقل وينفع به المسلمين.

أولا: هل يجوز للنساء اتباع الجنازة؟

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: "نُهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا" أخرجه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨).

ذهب جمهور أهل العلم إلى كراهة اتباع النساء للجنازة، واستدلوا بقولها رضي الله عنها: «ولم يعزم علينا» أن الكراهة للتنزيه وليست للتحريم.

أقوال أهل العلم:

جاء في الإنصاف (٥١٨/٢): "يكره للمرأة اتباعها على الصحيح من المذهب، نص عليه وعليه أكثر الأصحاب،... ورخص أحمد في اتباع جنازة يتبعها النساء. قال أبو حفص: ويحرم بلوغ المرأة القبر".

قال الحافظ في الفتح (١٧٣/٣): "(ولم يعزم علينا) أي: ولم يؤكد علينا في المنع كما أكد علينا في غيره من المنهيات، فكأنها قالت: كره لنا اتباع الجنائز من غير تحريم.

قال القرطبي: ظاهر سياق حديث أم عطية أن النهي للتنزيه، وبه قال جمهور أهل العلم، ومال مالك إلى الجواز، وهو قول أهل المدينة".

جاء في المجموع (٢٣٦/٥): "وأما النساء فيكره لهن اتباعها ولا يحرم، وهذا هو الصواب وهو الذي قاله أصحابنا، وأما قول الشيخ نصر المقدسي رحمه الله: لا يجوز للنساء اتباع الجنازة فمحمول على كراهة التنزيه، فإن أراد به التحريم فهو مردود، مخالف لقول الأصحاب، بل للحديث الصحيح، قالت أم عطية.. وساق حديث الباب".

قال الصنعاني في سبل السلام (٤٩٤/٢): "قولها: لم يعزم علينا ظاهر في أن النهي للكراهة لا للتحريم كأنها فهمته من قرينة وإلا فأصله التحريم وإلى الكراهة ذهب جمهور أهل العلم".

ثانيا: من يتولى إنزال الميتة في قبرها؟

١- عن أنس رضي الله عنه قال: "شهدنا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان، فقال: "هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟" فقال أبو طلحة: أنا قال: "فانزل في قبرها، فنزل في قبرها فقبرها" أخرجه البخاري (١٣٤٢).

يقارف: أي يكتسب، لقوله تعالى: «وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ» (الأنعام: ١١٣) أي ليكتسبوا ما هم مكتسبون لكن لفظ المقارفة في الحديث أريد به

ما هو أخص من ذلك وهو الجماع. الفتح (٣/٢٤٨) بتصرف.

٢- عن أنس أن رقية لما ماتت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل القبر رجل قارف أهله الليلة" أخرجه أحمد (١٣٤٣١).

٣- عن عبد الرحمن بن أبزى قال: ماتت زينب بنت جحش فكبر عليها عمر بن الخطاب أربعًا ثم سأل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من يدخلها في قبرها؟ فقلن: من كان يدخل عليها في حياتها. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١٦٥٠).

لا خلاف بين أهل العلم أن الرجال هم الذين يتولون إنزال الميت في قبره وإن كان الميت امرأة، وذهب جمهور العلماء إلى أن المحارم هم أولى الناس بإنزال المرأة في قبرها، وحجتهم حديث عبد الرحمن بن أبزى المتقدم، واستحب أكثر أهل العلم لمن وطئ أهله تلك الليلة أن لا يتولى إنزال الميتة في قبرها، واستدلوا بأحاديث أنس التي ذكرناها في الباب.

وما هي أقوال أهل العلم في ذلك:

قال الكاساني في بدائع الصنائع (١/٤٧٤): "وذو الرحم المحرم أولى بإدخال المرأة القبر من غيره؛ لأنه يجوز له مسها حالة الحياة فكذا بعد الموت، وكذا ذو الرحم المحرم منها أولى من الأجنبي، ولو لم يكن فيهم ذو رحم فلا بأس للأجانب وضعها في قبرها، ولا يحتاج إلى إتيان النساء للوضع".

قال النووي في المجموع (٥/٢٥٣، ٢٥٤) بتصرف: "ومما يحتج به من الأحاديث في كون الرجال هم الذي يتولون الدفن وإن كان الميت امرأة حديث أنس رضي الله عنه.. وساق الحديث كما تقدم من رواية البخاري، قيل معناه لم يقارف أهله أي لم يجامع، وقيل: لم يقارف ذنبًا، ذكره البخاري عن ابن مبارك عن فليح والأول أرجح، ويؤيده حديث أنس "أن رقية لما ماتت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل القبر رجل قارف الليلة أهله" فلم يدخل عثمان بن عفان، رواه أحمد بن حنبل في مسنده، ومعلوم أن أبا طلحة رضي الله عنه أجنبي من بنات النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه كان من صالحي الحاضرين ولم يكن لها هناك رجل محرم إلا النبي صلى الله عليه وسلم فلعله كان له عذر في عدم نزول قبرها وكذا زوجها، ومعلوم أنها كانت أختها فاطمة وغيرها من محارمها وغيرهن هناك، فدل على أنه لا مدخل للنساء في إدخال القبر والدفن".

قال صاحب المغني (٢/٣١٦، ٣١٧): "لا خلاف بين أهل العلم في أن أولى الناس بإدخال المرأة قبرها محرمها، وهو من كان يحل له النظر إليها في حياته ولها السفر معه، وقد روى الخلال بإسناده عن عمر رضي الله عنه أنه قام عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفيت زينب بنت جحش فقال: ألا إني أرسلت إلى النسوة من يدخلها قبرها.. الحديث كما تقدم في الباب، ولأن محرمها أولى الناس بولايتها في الحياة، فكذلك بعد الموت، وظاهر كلام أحمد: أن الأقارب يقدمون على الزوج، قال الخلال: استقامت الرواية عن أبي عبد الله أنه إذا حضر الأولياء والزوج فالأولياء أحب إليه فإن لم يكن الأولياء فالزوج أحق من الغريب، لما ذكرنا من خبر عمر".

جاء في المحلى (٣/٣٦٩) بتصرف: "وأحق الناس بإنزال المرأة في قبرها من لم يطأ تلك الليلة، وإن كان أجنبيًا، حضر زوجها أو أولياؤها أو لم يحضروا". واستدل بحديث أنس في البخاري كما تقدم في الباب.

تعقيب وترجيح

ما ذهب إليه أكثر أهل العلم من أن أولياء الميتة هم أولى الناس بإنزالها قبرها هو الصواب؛ لأثر عمر بن الخطاب.

وأرى صحة ما ذهب إليه الشافعية ومن وافقهم أن المستحب لمن وطئ أهله تلك الليلة أن لا يتولى إنزال الميتة في قبرها؛ لحديث أنس المتقدم، والله تعالى أعلى وأعلم.

ثالثا: هل يجوز للنساء زيارة القبور؟

١- عن أبي هريرة "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور". وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٥٧٦) وصحيح الترمذي (١٠٥٦).

٢- عن أنس بن مالك قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري" قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي صلى الله عليه

وسلم فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى" أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (١٥-٩٢٦).

٣- وحديث بريدة وفيه "نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها" أخرجه مسلم (٩٧٧).

٤- عن عائشة قالت: كيف أقول يا رسول الله- تعني إذا زارت القبور- قال قولي: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا إن شاء الله بكم للاحقون" أخرجه مسلم (٩٧٤).

تنازع الفقهاء في هذه المسألة فذهب طائفة إلى جواز زيارة النساء للقبور، وحجتهم في ذلك أحاديث الباب التي ذكرناها، وقالوا: اللعن الذي جاء في الحديث للنساء اللاتي يكثرن الزيارة؛ فيفضي بهن ذلك إلى المخالفات الشرعية كالتبرج والاختلاط بالرجال والصياح والندب، واتخاذ القبور مجالس للكلام والنزهة، وضياع الوقت، ونحوه من المنكرات التي تحدث عند القبور، وهذا مذهب الشافعية ورواية عن أحمد وابن حزم وغيرهم.

وقالت طائفة: اللعن عام في المكثرات وغيرهن.

وهذا الراجح من مذهب أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية.

ونذكر أقوال كل طائفة في المسألة.

أولاً: المجيزون:

قال النووي في المجموع (٢٨٦/٥) بتصرف: "والمختار عند أصحابنا أنهن يدخلن في ضمن الرجال، ومما يدل على أن زيارتهن ليس حرامًا حديث أنس رضي الله عنه، والمختار عند أصحابنا أنهن يدخلن في ضمن الرجال، ومما يدل على أن زيارتهن ليس حرامًا حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «مر بامرأة تبكي عند قبر...» وساق الحديث كما تقدم، وذكر بعده حديث عائشة وأنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف أقول-يعني إذا زرت القبور- وساق الحديث".

قال الحافظ في الفتح (١٧٧/٣): "ويؤيد الجواز حديث الباب وموضع الدلالة منه أنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر، وتقريره حجة، وممن حمل الإذن على عمومه للرجال والنساء عائشة؛ فروى الحاكم من طريق ابن أبي مليكة، أنه رآها زارت قبر أخيها عبد الرحمن.. وساق الحديث".

قال القرطبي: "هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة، لما تقتضيه الصفة من المبالغة، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك، فقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن؛ لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء".

ولما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء، وقال بعضهم: إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن، ثم ساق بسنده أن عبد الرحمن بن أبي بكر توفي ودفن في مكة وأتت عائشة قبره.. واستدل أيضا بحديث عائشة (كيف أقول يا رسول الله إذا زرت القبور؟) الحديث كما تقدم في الباب.

ثانيا: المانعون:

جاء في الإنصاف (٥٣٥/٢، ٥٣٦): "قوله: وهل يكره للنساء-يعني زيارة القبور- على روايتين وأطلقها في الهداية والمذهب والمستوعب والكافي والتلخيص وابن تميم والشرح.

إحداهما: يكره لهن وهو المذهب جزم به الخرقي والوجيز والمنور، وغيرهم، وصححه ابن عقيل.. وذكر غيرهم.

قال في مجمع البحرين: هذا أظهر الروايات.

الرواية الثانية: لا يكره فيباح. اهـ.

تعقيب وترجيح

الذي يترجح لي في هذه المسألة ما ذهب إليه الشافعية ومن وافقهم من جواز زيارة النساء للقبور للتذكرة بالموت، وذلك إذا لم تفض الزيارة إلى الفتنة أو المخالفات الشرعية كما ذكرنا في الباب، ذلك لقوة الأدلة التي جاءت في ذلك، ومن أظهرها قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم: (ماذا أقول إذا زرت القبور)، فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء عند زيارة القبور فهذا إقرار منه صلى الله عليه وسلم لجواز الزيارة للنساء، وغير ذلك من الأدلة الصحيحة الصريحة كما ذكرناها في الباب والتي تدل على جواز زيارة النساء للقبور، لكن يبقى النظر هل ينسخ العام المتأخر الخاص المتقدم، والجمهور على أنه مخصوص به، والله تعالى أعلم.

أسباب إزالة الهموم والغموم

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرحيم الغفور، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله السراج المنير، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين فازوا بالتجارة التي لن تبور.

أما بعد: فيا أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي بتقوى الله-جل وعلا-، فهي وصية الله للأوَّلين والآخرين، (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ)(النساء: ١٣١).

عباد الله: الدنيا لا تستقر على حال، بل تمر على الإنسان حالات من الضيق والحزن، وأطوار من الهم والغم، لأسباب متعددة وفي صور مختلفة، ألا وإن المُنْجي الوحيد من كل هم وكرب، والعاصم الفريد من الغم والوصب، هو الالتجاء الصادق لله-جل وعلا-، والتضرُّع إلى المولى-تبارك وتعالى-، قال عز وجل: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)(الحجر: ٩٧-٩٩).

الطاعة-أيها المسلمون- فرحة وسرور، والتقوى لله-جل وعلا- بهجة وحبور، فالزم عبدَ الله طاعةَ ربك، يجعل لك من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، قال سبحانه: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)(الطلاق: ٢-٣)، (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) (الانفطار: ١٣)، وهذا يشمل نعيمَ القلب وسرورَه في الدنيا كذلك.

إعداد الشيخ د: حسين بن عبدالعزيز آل الشيخ

خطيب المسجد النبوي الشريف

عبادَ الله، أيها المسلمُ: إذا ضاقت بك ظلمات الهموم، ولزمتك شقوة الغموم، فالزم كتاب ربك تلاوة وتدبرًا، استجابة وعملاً، فهو نور القلوب، والشفاء من جميع الخطوب، قال جل وعلا: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)(يونس: ٥٧)، وقال تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) (فصلت: ٤٤)، فمن ألزم نفسَه بكلامِ ربه، وأشرقت في قلبه أنوارُه، انجلى عنه كل حزن، وانقشعت عنه الهمومُ والغمومُ.

أخي المسلم: متى علت الهمومُ نفسَك، وهجمت على قلبك فانكسرْ بين يديْ ربِّك، وأظهر الافتقارَ إليه، تذلّل لخالقك والجأ إليه بالتضرع والدعاء، يقول تبارك وتعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ)(الأنبياء: ٨٣-٨٤).

تضرَّعْ إلى القادر على كل شيء، تضرع إليه تضرعًا صادقًا مخلصًا، بلسان الحال ولسان

المقال، بحضور قلب في حال خشوع من الباطن والظاهر، في انكسار تام من مخلوق لخالقه، ومنْ عبد لمولاه، بيقين أنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، قال تعالى: (وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)(الأنبياء: ٨٧-٨٨)، وصحَّ عن رسولنا-صلى الله عليه وسلم- الحث على هذا الدعاء، وأنه لن يدعو به مسلم في شيء إلا استجاب الله له، وأن هذا الدعاء من أدعية رفع الكرب، وكشف البلاء؛ لما فيه من المعاني العظيمة من توحيد الله وتعظيمه، وتنزيهه والاعتراف بالقصور والعجز وظلم النفس في الوفاء بحقوق الخالق-سبحانه-، ولا غرو فلا نعيم لقلب ولا سرور لنفس إلا بكمال التوحيد والقيام بحقائق الإيمان التي جاء بها الوحيُ، ولهذا (ففي الصحيحين) عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يقول عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض، رب العرش الكريم".

عبادَ الله: ومن أدعية دفع الكرب والهم، والمتضمِّنة التضرع إلى الله-جل وعلا-، والتوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، ما صحَّ عن رسولنا-صلى الله عليه وسلم-، ومنها: "لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله، رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين"، وصح عنه-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك، ابنِ أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمُك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همَّه وحزنه، وأبدله مكانه فرحا، قيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ قال: بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها"، وما أهون-يا عباد الله- أن يتعلمها المسلمُ في مثل هذا العصر.

أخي المسلم: ومن أدعية التحصُّن من الهمِّ والحزن قبل وقوعه ما صح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّيْن وقهر الرجال». وهذه الأمور كلها من أسباب الحزن.

ومن الأدعية أيضًا: أن يكرر العبد بلسانه وقلبه: "الله ربي لا أشرك به شيئًا"، ومنها أيضًا: "يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث".

أيها المسلم: من أعظم أسباب الفرح واللذة والسرور والبهجة: أن تقف بين يدي ربك بصلاة فريضة أو نافلة، في غير وقت نهي، بصلاة خاشعة يكسوها الانكسار والافتقار للعزيز الجبار، قال سبحانه: (وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ)(البقرة: ٤٥)، وروى البخاري عن أم سلمة-رضي الله عنها- قالت: "استيقظ النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- ذات ليلة فقال: سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا فُتح من الخزائن؟ أيقظوا صويحبات الحجر، فربَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة" وفي رواية: "أيقظوهن حتى يُصلين"، قال ابن حجر في هذا الحديث: "استحباب الإسراع إلى الصلاة عند خشية الضر والشر"، وعند مسلم قوله-صلى الله عليه وسلم-: "فإذا رأى أحدُكم-أي: في منامه- ما يكره فليقم وليُصلِّ"، وعلى ذلك فعلُ سلف هذه الأمة كما روي عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين.

أيها المسلمون: وللإحسان بأنواعه سواء

من القول أو الفعل، خاصة الصدقة؛ لذلك تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء، ورفع الضراء، قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ) (يُوسُفَ: ٨٨)، (وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ) (البَقَرة: ١٩٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: "صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضبَ الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر" (أخرجه الطبراني في الكبير، وقال البيهقي والمنذري: "إسناده حسن، وله طرق وشواهد").

فاستقيموا عباد الله على طاعة الله وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم- بالعمل الصالح، والمسارَعة للخيرات، وملازَمة الفرائض وسائر الطاعات، تَسْعَدُوا وتُفلحوا، يقول جل وعلا: (مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(النَّحْل: ٩٧).

ثم إنَّ من أعظم أسباب انشراح الصدر وتفريج الكروب الإكثار من الصلاة والتسليم على النبي الكريم، اللهم صل وسلم وبارك على حبيبنا ونبينا وقرة عيوننا محمد، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الشرك والمشركين، اللهم عليك بمن تسلط على المسلمين، اللهم عليك بمن مكر بالمسلمين، اللهم من مكر بالمسلمين فامكر به، وأنزل عليه سخطك وغضبك يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم فرج همهم، اللهم نفس كربهم، اللهم أغن فقيرهم، اللهم اشف مريضهم، اللهم اهد ضالهم، اللهم ولِّ عليهم خيارهم، اللهم ولِّ عليهم خيارهم، وكُفَّ عنهم شرارهم وفجارهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم ارزقنا في هذه الحياة حياة طيبة، اللهم ارزقنا فيها حياة نغنم فيها برضاك يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أرضنا وارضَ عنَّا، اللهم أرضنا وارضَ عنا، يا حي يا قيوم، اللهم لا تجعل للحاضرين ولمن سمعنا همًّا إلا فرجتَه، ولا كربًا إلا نفَّسْتَه، ولا عسيرًا إلا يسَّرْتَه، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام.

عباد الله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)(الأَحْزَاب: ٤١-٤٢)، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

كثيرًا ما اعتدنا على صفحات هذه المجلة الغراء نَشْر كلمات تعزية واجبة في وفاة العلماء، وطلاب العلم، وغيرهما.

واليوم نعزِّي أنفسنا كأسرة تحرير مجلة التوحيد، ونتقدم بخالص العزاء في وفاة والدة الأستاذ/ جمال سعد حاتم، رئيس تحرير المجلة، سائلين الله تعالى أن يتغمدها بواسع رحمته، وأن يتقبلها في الصالحين، وأن يُلْهِم أهلها أجمعين الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أسرة تحرير مجلة التوحيد

من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة

عداوة الدولة الصفوية الفارسية لأهل السنة (٣)

إعداد **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخواني الكرام قراء مجلة الغراء، هذا لقاؤنا الثالث مع قضية استشهاد عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه، وفي اللقاء السابق جمعنا خيوط المؤامرة، وحددنا السبب وراء الحقد الدفين الذي أدى إلى الطعنة الآثمة التي أصابت عمر رضي الله عنه في مقتل، وتحدثنا عن تاريخ الدولة الصفوية التي استولت على الحكم في إيران بمعاونة حكومات الغرب، وبخاصة بريطانيا وفرنسا، وتلك الدولة الصفوية التي استولت على حكم بلاد فارس بعد عشرة قرون عاشت فيها بلاد فارس تحت مظلة أهل السنة والجماعة، فأثمرت وأينعت ثمارًا طيبة، وقدمت للعالم الإسلامي كوكبة من علماء السنة في شتى مجالات العلم والمعرفة، ونشأ فيها علماء كبار في اللغة والفقه والحديث والتفسير؛ فلما جاءت الدولة الصفوية أظلمت الدنيا وصارت بورًا من العلم الصحيح النابع من الكتاب والسنة عندما تحولت البلاد إلى الشيعة الاثني عشرية (الروافض)، ثم جاءت دولة الآيات التي وضع قواعدها أحمد الموسوي الخميني (الملقب بآية الله).

ولم نلاحظ فرقًا بين القوم في عقيدتهم تجاه القرآن والسنة والله والرسول والصحابة، ولقد أعلنها صريحة المسمى بنعمة الله الجزائري في «أنواره النعمانية» (ص٢٧٩) قائلاً: «إنا لم نجتمع معهم (أي: مع أهل السنة) على إله ولا على نبي ولا على إمام». وهذا الكلام الذي قاله الجزائري المتوفى سنة ١٧٠٠م قاله الخميني مؤسس الدولة الصفوية الحديثة عام ١٩٧٩م، والمستمرة حتى اليوم، وهم الشيعة الاثنا عشرية أو (الروافض)، وبعض أهل العلم يفضل إطلاق اسم (الروافض) عليهم، وخلاصة عقيدة القوم مخالفة أهل السنة في كل شيء وليس فقط المخالفة، بل وصل بهم الحقد والحسد والبغي أنهم يزعمون أنهم يتقربون إلى الله بسبّ ولعن أهل السنة، وعلى رأسهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا في حالة الضعف وعدم القدرة، أما في حالة القدرة والتمكن فإنهم يقتلون أهل السنة، ويزعمون أن ذلك قُربة إلى الله، فمن أين جاء للقوم هذا الضلال المبين؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه- بعون الله-:

أولاً: مجمل عقيدة الروافض عمومًا:

١- قال الإمام ابن تيمية في منهاج السنة (١/ ٢٠): «الرَّوافِضُ أَعظَمُ ذَوِي الأَهواءِ جَهلًا وَظُلمًا يُعَادُونَ خِيَارَ أَولِيَاءِ اللهِ تَعَالَى مِن بَعدِ النَّبِيِّينَ، مِنَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ، رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ، وَيُوَالُونَ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ مِنَ اليَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَالمُشرِكِينَ، وَأَصنَافَ المُلحِدِينَ كَالنُّصَيرِيَّةِ، وَالإِسمَاعِيلِيَّةِ، وَغَيرِهِم». اهـ.

ولخّص الشوكاني رحمه الله عقيدتهم فقال: «إن أصل دعوة الروافض كيد الدين، ومخالفة شريعة المسلمين... فكان حاصل ما هم فيه من ذلك أربع كبائر كل واحدة منها كفر بواح:

الأولى: العناد لله عز وجل.

الثانية: العناد لرسوله صلى الله عليه وسلم.

الثالثة: العناد لشريعته المطهرة ومحاولة إبطالها.

الرابعة: تكفير الصحابة رضي الله عنهم». انتهى مختصرًا عن رسالة «أصول مذهب الشيعة» للقفاري.

ثانيا: ما سبب هذا الضلال الذي وقع فيه القوم؟

لا شك أن أهم أسباب الضلال هو الابتعاد عن مصدر الوحيين الصافيين: الكتاب والسنة الصحيحة، واتباع الهدى، وهذا الذي وقع فيه الروافض (الشيعة الاثنا عشرية)، وهذا باعترافهم هم أي باعتراف علمائهم المعتبرين عندهم، ومنهم أشهر علمائهم الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في مقدمة كتابه «تهذيب الأحكام» يقول: «ذاكرني بعض الأصدقاء -أيره الله- عن أوجب حقه علينا بأحاديث أصحابنا -أيدهم الله ورحم الله السلف منهم- وما وقع فيه الاختلاف والتباين والمنافاة والقضاء حتى لا يكاد يتفق خبر وإلا وبإزائه ما يضاده، لا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه حتى جعل مخالطونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا». اهـ.

ويقول عالم الهند الشيعي السيد دلدار اللكهنوي في كتابه «أساس الأصول» (ص٥١): «إنّ الأحاديث المأثورة عن الأئمة مختلفة جدًا لا يكاد يوجد حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه ولا يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده». اهـ.

وهكذا باعتراف القوم ليس عندهم سندٌ موثوق، وليس عندهم علم الجرح والتعديل ومروياتهم يشوبها الاضطراب، وصدق الإمام ابن تيمية حين قال: «الرافضة أمة مخذولة ليس لها عقل صحيح، ولا نقل صريح، ولا دين مقبول، ولا دنيا منصورة». (مجموع الفتاوى ٤٧١/٤).

فلما كفَّروا الصحابة الكرام وكل من ينقل عنهم فقدوا الصواب ووقعوا في الضلال والكذب، ووقعوا في اتباع الهوى، ورحم الله الدكتور محمد حسين الذهبي حين دلل على ذلك في كتابه «التفسير والمفسرون» (٤١/٢) بعد دراسته لكتبهم فقال: «وكلمة الحق والإنصاف أنه لو تصفّح إنسان كتاب "أصول الكافي"، وكتاب الوافي وغيرهما من الكتب التي يعتمد عليها الإمامية الاثنا عشرية، لظهر له أن معظم ما فيها من الأخبار [illegible] وضع كذب وافتراء. وكثير مما رُويَ في تأويل الآيات وتنزيلها لا يدل إلا على جهل القائل وافترائه على الله. ولو صح ما ترويه هذه الكتب من تأويلات فاسدة في القرآن لما كان قرآن ولا إسلام، ولا شرف لأهل البيت ولا ذكر لهم. وبعد فغالب ما في كتب الإمامية الاثني عشرية في تأويل الآيات وتنزيلها وفي ظاهر القرآن وباطنه استخفاف بالقرآن الكريم، ولعب بآيات الذكر الحكيم. وإذا كان لهم في تأويل الآيات وتنزيلها أغلاط كثيرة فليس من المعقول أن تكون كلها صادرة عن جهل منهم، بل المعقول أن بعضها قد صدر عن جهل، والكثير منها صدر عمدًا عن هوى مُتَّبع». اهـ.

هكذا وصل الأستاذ الدكتور الذهبي -رحمه الله- إلى حقيقة القوم بعد دراسته لأهمّ مراجعهم في التفسير والحديث مثل «أصول الكافي»، و«الوافي»، وحقيقة القوم أنهم يريدون هدم الدين الذي جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة والتي نقلها إلينا الصحابة الأطهار، ولهذا فهم يجرحونهم رضي الله عنهم، ويتعمدون سبهم والانتقاص من حقهم.

ورحم الله الإمام أبو زرعة الرازي المتوفى سنة ٢٦٤هـ حين قال عبارته المشهورة والتي تكتب بماء الذهب: «قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق؛ لأن الرسول عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحابُ الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما يريد القوم أن يجرحوا في شهودنا ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة». أخرجه الخطيب في "الكفاية" (ص٤٩).

وكلمة «الزنديق» تعني الضلال والإلحاد والخبث والنفاق، وهكذا وصف الإمام أبو زرعة رحمه الله كل من ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما ظنك بمن يكفرونهم ويلعنونهم بأقبح الألفاظ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا شك أن الذي يفعل ذلك هدفه هو هدم الإسلام من أساسه، وذلك كما أشار الإمام أبو زرعة، وكما قال الإمام أحمد رحمه الله: «إذا رأيت أحدًا يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام». اهـ. راجع البداية والنهاية.

وذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أرسل رسوله واختار له أصحابه، فعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: «إنَّ اللَّه نَظَرَ في قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِه فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِه ثُمَّ نَظَرَ في قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِه خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّه يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِه [illegible]» أخرجه أحمد، وصححه الشيخ أحمد شاكر ومحققو المسند طبعة الرسالة، وحسنه الألباني، وهذا القول المنسوب لابن مسعود أصله في القرآن والتوراة والإنجيل، واقرأ معي إن شئت: «مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» (الفتح: ٢٩).

وثناء القرآن على أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار لا يخفى على المسلم، وفضائل الصحابة قد سارت بها الركبان من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أقوال السلف، وبخاصة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين، وهذا لا ينكره إلا منافق في قلبه مرض، وإذا أردنا الإشارة

إلى بعض من ذلك ضاق بنا المقام هنا، وهذا مذكور في مراجعه، والحمد لله.

هكذا ظهر لنا سببٌ أساسٌ في ضلال القوم ألا وهو ابتعادهم عن أهم مصادر الهداية كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة واتباع الأهواء، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴾ (القصص: ٥٠)، واتباع الهوى من أهمّ أسباب هلاك الأفراد والأمم، وهذا يقود صاحبه إلى تقديس الأشخاص؛ ولذلك هم يقدسون أئمتهم المزعومين ويعتبرونهم معصومين فاتخذوهم أولياء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، وهنا يبرز سؤال: هل هناك أسباب أخرى لما وقع القوم فيه من الضلال؟

ثانيا: الأسباب الحقيقة لضلال القوم:

السبب الحقيقي في ضلال القوم، بالإضافة إلى ما تقدم، هو أنهم لا يريدون وجه الله، وتسألني كيف؟ أقول لك: الإجابة عن هذا السؤال لم تكن أوضح منها في هذه الأيام، والواقع يشهد بذلك، لكن الكثير لا يريد أن يرى أو يسمع، وقبل الإجابة عن سؤالك أسألك سؤالاً ألا وهو: لماذا لم يظهر الفرح بمقتل عمر إلا في عهد الدولة الصفوية الأولى، ثم استمر إلى يومنا هذا؟ ولم يظهر في إيران طيلة القرون العشر الأولى من دخولهم في الإسلام؟ لأن البلاد قبل ظهور الدولة الصفوية كانت على الإسلام الحق، فحمدوا الله أن هداهم للإيمان، وأتم عليهم نعمته أن اختار لهم الإسلام دينًا، وشكروا ربهم أن تفضّل عليهم بهذه النعمة ولم يلتفتوا إلى مقتل كسرى ولا إلى زوال الدولة الفارسية؛ لأن الله أبدلهم خيرًا منها، وعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشاء، وليس لكسرى ولا لقيصر، أما هؤلاء الروافض فليسوا كذلك، وسيظهر ذلك بعد قليل.

ما الفرق بين إيران أو الروافض الشيعة الاثني عشرية قبل دولة الخميني وبعدها؟

الجواب: كان علماء الشيعة في إيران يُحرّمون الاشتغال بالسياسة ويحرمون التعاون مع السلطة السياسة باعتبارها مغتصبة لحق الإمام الغائب، وكانوا يرون التقية والتوقف، ويحرمون الجهاد باعتباره لا يصح إلا خلف الإمام الغائب، حتى الجمعة؛ لأنها لا تصح إلا خلف الإمام الذي ينتظرونه، فكانوا يفضلون التريث والانتظار ويقدمون التقية على الإعلان، فلما جاءتهم الثورة الخمينية نقلتهم من السكون إلى الحركة، ومن الانكماش إلى التمدد ومن التقية إلى المجاهرة.

وهذا الذي يسمى ولاية الفقيه، وتعني هذه النظرية ببساطة: أن الخميني ومن يأتي بعده من الآيات ينوب عن الإمام الغائب في قيادة الأمة وإدارة الدولة والقيام بمهام الحكومة الإسلامية؛ لتهيئة الأمة لظهور الغائب المنتظر والتوسع والتمدد في نشر التشيع، ولذلك جعل الخميني ولاية الفقيه ولاية مطلقة هيمن من خلالها على السلطة السياسية والدينية، ومنح دستور الجمهورية الإسلامية في إيران الولي الفقيه أو المرشد الأعلى صلاحيات واسعة للهيمنة على مقاليد الأمور، فهو فوق الرئيس، وفوق البرلمان، واعتبر الولاية شعبة من ولاية الله، وسمح له بتجاوز الدستور وإدارة الأمة.

والذي يعنينا الآن أن الدولة الإسلامية في إيران بعد الثورة التي وقعت في ١٩٧٩م صارت تتمدد وتتوسع، وهذا التمدد والتوسع هل كان لنشر الإسلام الصحيح يا حبذا لو كان، ولكن هذا التمدد والتوسع صار على حساب أهل السنة والجماعة في العراق وفي سوريا ولبنان ثم اليمن ثم السعودية، بل وفي أماكن كثيرة من العالم شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، وسخرت الدولة الإيرانية كل مواردها من البترول والغاز والثروات الطبيعية التي منحها الله في حرب الإسلام الحق المتمثل في أهل السنة والجماعة، يعني ما كان عليه الرسول وأصحابه الكرام من بعده.

وهذا التوسع في خدمة الغرب وأمريكا واسرائيل، فرغم ما يحدث من حرب على أهل السنة في كل مكان لم نلاحظ صاروخًا واحدًا انطلق إلى «تل أبيب»، مع وجود القواعد الإيرانية والقوات الإيرانية في سوريا بالقرب من إسرائيل، ودونك من الخلافات الطائفية على السطح فهي إطلاقات على مناطق النفوذ، فالروافض كما أسلفنا يتقربون إلى الله بقتل أوليائه بينما يوالون أعداءه واقرأ معي هذا التصريح الذي أعلنه وزير الدفاع الإيراني حسين دهقان في نهاية مايو ٢٠١٩م حين قال: «إن العراق بعد عام ٢٠٠٣م أصبح جزءًا من الإمبراطورية الفارسية، ولن يرجع إلى المحيط العربي، ولن يعود دولة عربية مرة أخرى، وعلى العرب الذين يعيشون فيه أن يغادروه إلى صحرائهم القاحلة التي جاؤوا منها من الموصل وحتى حدود البصرة، هذه أراضينا وعليهم إخلاؤها، وان قوات الحشد الشعبي ستُسْكت أيّ صوت يميل إلى جعل العراق تدور حول ما يسمى بالمحيط العربي؛ لأنه عاد إلى محيطه الطبيعي».

ثم ختم حديثه بقوله: «لقد عدنا دولة عظمى كما كنا سابقًا، وعلى الجميع أن يفهم هذا: نحن أسياد المنطقة: العراق وأفغانستان واليمن وسوريا والبحرين عما قريب». وليس هذا أول تصريح ولا آخر تصريح من المقربين من المرشد الأعلى الإيراني، ونحن لسنا في حاجة إلى تصريحاتهم، فالواقع يفصح أكثر عن عقيدة القوم التي انتقلت من الاعتقاد إلى العمل، وهذا يفسّر لنا لماذا يكرهون عمر وأبا بكر والصحابة.

أسأل الله لي ولكم يحيينا مسلمين، وأن يتوفنا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين.

الأمثال في القرآن

ضرب المثل بالذباب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فمع مثل جديد من الأمثال القرآنية، وهو في الآية (٧٣) من سورة الحج، وهو قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ) **(سورة الحج:٧٣).**

المعني العام:

قال ابن القيم رحمه الله: "هذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه وتعالى في بطلان الشرك وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أن الشياطين قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة؛ حيث أعطوا الألهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع المخلوقات، وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإجابة الدعوات؛ فأعطوها صورا وتماثيل تمتنع عليها القدرة على مخلوقات الألهة الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه. وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء إلهيتهم: أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئا واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه. ثم سوى بين العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله: (ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ). قيل: الطالب العابد، والمطلوب المعبود؛ فهو عاجز متعلق بعاجز، وقيل: هو تسوية بين السالب والمسلوب، وهو تسوية بين الإله والذباب في الضعف والعجز، وعلي هذا: فالطالب الإله الباطل، والمطلوب الذباب يطلب منه ما استنقذه منه، وقيل: الطالب الذباب، والمطلوب الإله، فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليه.

والصحيح: أن اللفظ يتناول الجميع، فضعف العابد والمعبود والمُستلِب (بضم الميم وفتح التاء وكسر اللام) والمُستَلَب (بضم الميم وفتح التاء واللام)، فمن جعل هذا إلها مع القوي العزيز فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق عظمته. (إعلام الموقعين "٣١٢/٢" و" مفتاح دار السعادة "٣٣٣/٢").

إعداد **مصطفي البصراتي**

معاني المفردات:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ) معنى (ضُرِبَ) جُعل: كقولهم: ضرب السلطان البعث على الناس، وضرب الجزية على أهل الذمة أي جعل ذلك عليهم. ومعنى الآية: جعل لي شبه (بفتح الشين والباء وتنوين الهاء) وشبه (بفتح الشين وتشديد الباء مع فتحها وفتح الهاء) بي الأوثان، أي: جعل المشركون الأصنام شركائي فعلوها. فاستمعوا له: فاستمعوا حالها وصفتها.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ): يعني الأصنام.

(لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا): الذباب وهي حشرة طائرة معروفة.

(وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ): أي لو اجتمعوا من مفترق القبائل وتعاونوا عل خلق الذباب لن يخلقوه.

(وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ): أي إذا أخذ واختطف منهم هذا الخلق الأقل الأرذل شيئا من الأشياء بسرعة لا يقدرون على تخليصه منه، والاستنقاذ والإنقاذ التخليص. (تفسير البغوي بتصرف).

(ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ): قال ابن عطية: "قالت فرقة: أراد بالطالب الأصنام وبالمطلوب الذباب، وقالت فرقة: معناه ضعف الكفار في طلبهم الصواب والفضيلة من الأصنام، وضعف الأصنام عن إعطاء ذلك وإنالته. وقال القاضي أبو محمد رحمه الله: ويحتمل أن يريد: ضعف الطالب وهو الذباب في استلابه ما على الأصنام، وضعف الأصنام في ألا منعة لهم. وقوله تعالى: (مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ)(الحج:٧٤): خطاب للناس المذكورين، والضمير في (قَدَرُواْ) للكفار، والمعنى ما وفوه حقه من التعظيم والتوحيد". (المحرر الوجيز

لابن عطية) بتصرف.

المعنى التفصيلي:

أعقبت تضاعيف الحجج والمواعظ والإنذارات التي اشتملت عليها السورة مما فيه مقنع للعلم بأن الله إله الناس واحد، وأن ما يُعْبد من دونه باطل، أعقبت تلك كلها بمثل جامع لوصف حال تلك المعبودات وعابديها، والخطاب بـ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) للمشركين لأنهم المقصود بالرد والزجر وبقرينة قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ) على قراءة الجمهور (تَدْعُونَ) بتاء الخطاب، فالمراد ب (ٱلنَّاسُ) هنا المشركون على ما هو المصطلح الغالب في القرآن، ويجوز أن يكون المراد ب (ٱلنَّاسُ) جميع الناس من مسلمين ومشركين. (التحرير والتنوير لابن عاشور).

وقال القرطبي في تفسيره: "قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ) هذا متصل بقوله: (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا)، وإنما قال: (ضرب مثل)؛ لأن حجج الله تعالى عليهم بضرب الأمثال أقرب إلى أفهامهم". (تفسير القرطبي).

وقال ابن جزي الكلبي: (ضُرِبَ مَثَلٌ): أي ضربه الله لإقامة الحجة على المشركين (لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا) تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى. والمعنى: أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تُعبد من دون الله الذي خلق كل شيء، ثم أوضح عجزهم بقوله (وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ) أي: لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه. (وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ) بيان أيضا لعجز الأصنام بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه. (التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي).

وقال صاحب الكشاف: "وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش، واستركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه -أي قد ربطهم برباطه-؛ حيث وصفوا بالإلهية- التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها- صورًا وتماثيل، يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه وأذله وأصغره وأحقره، ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا). (الكشاف للزمخشري).

الفوائد المستفادة من هذا المثل:

١- هذا المثل مما يُسمَّى بالأمثال المرسلة، وهي جمل قد أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه، وكثر التمثيل بها؛ لما فيها من العظة والعبرة والإقناع. وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعها في المسلمين، ولم تكن أمثالاً في وقت نزوله، وهي في جملتها مبادئ خلقية ودينية مركزة. (دراسات في علوم القرآن للدكتور محمد بكر إسماعيل).

٢- هذا المثل من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم والشهادة على أن الشياطين قد تتلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة؛ حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات، والغنى عن جميع المخلوقات وأن يعمد إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإجابة الدعوات فأعطوها صورًا وتماثيل تمتنع عليها القدرة على مخلوقات الآلهة الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها. (أمثال القرآن لابن القيم).

٣- في هذا المثل صفة الخلق المتصف بها سبحانه وتعالى أعظم دليل على وحدانية الله تعالى، وهي متضمنة صفة التصوير والعلم؛ لأن لكل مخلوق صورة تخصه؟ ولا يكون ذلك إلا عن علم بالغيب والشهادة. كما تقدم. (أضواء البيان للشنقيطي).

٤- خص الذباب لأربعة أمور تخصه؛ لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته، فإذا كان هذا الذى هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله عز وجل على خلق مثله، ودفع أذيته فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأربابًا مطاعين. وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان. (تفسير القرطبي).

٥- الخبر في قوله «لنْ يَخْلُقُوا» يتضمن التحدي؛ لأنه يفيد عدم قدرتهم في وقت مخاطبتهم به، وبعده طالما يوجد من يزعم أو يُزعم له أنه ربٌ أو إله. وهو معجزة دالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذا القرآن من عند الله. وذلك أن تحقق موجب هذا الخبر واتضاح عجزهم شاهد على ذلك. ولذلك سمى الله هذا الخبر مثلاً. (الأمثال القرآنية القياسية للجربوع).

٦- في قوله تعالى: «ضَعُفَ الطالبُ»: الصنمُ بطلب ما سُلب منه. «والمطلوبُ»: الذباب بما سَلب. وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت لوجدت الطالب أضعف وأضعف؛ فإنّ الذباب حيوان والصنم جماد. (البحر المديد للإدريسي).

٧- كل من تعلق في حوائجه بغير الله أو ركن بالمحبة إلى شيء سواه؛ فقد أشرك مع الله أضعف شيء وأقله. فماذا يجدي تعلقُ العاجزِ بالعاجز، والضعيف بالضعيف (البحر المديد الإدريسي).

٨- في المثل جدّة اختراع المعاني وهو أن يخترع الشاعر أو الكاتب معنى لم يسبق إليه، فقوله تعالى: «إنّ الذينَ تَدْعُونَ منْ دُون الله لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً» هي من أبلغ ما أنزل الله في تجهيل الكافرين وتقريعهم والاستخفاف بعقولهم؛ لغرابة التمثيل الذي تضمن الإفراط في المبالغة مع كونها ملازمة للحق والواقع. (الجدول في إعراب القرآن محمود عبد الرحيم صافي).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بحارُ الفِتن وسُفُنُ النّجاة

سُفُن النَّجاة من فِتنِ الغُوَاة

(٣)

إعداد **د. عماد عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي كتب على نفسه الرّحمة وأسبغ علي عباده النعمة، وصلى الله على الرّحمة المهداة والنعمة المسداة الذي وضع الله به عن شريعته الأغلال.

وبعدُ: ففتنةُ النّاس بعضهم ببعض كثيرة الأحوال، محمّلة بالأهوال، وأمورها شديدة، وأسبابها عنيدة، لا سيّما مع إقبال النّاس على الدّنيا، وافتتانهم بزهرتها، وتنافسهم على حظوظها وزينتها، وقد جعل الله أسبابًا للنّجاة منها قبل الولوج فيها وولوغها والدخول في معانيها، وكذا للخروج من هذه الفتنة إذا وقع المرء فيها، منها:

الرّضا بما قدّر الله لعباده:

قال تعالى: «مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» (الحديد: ٢٢).

وقال تعالى: «مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (التغابن:١١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصّادق المصدوق، قال: «إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثمّ يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقيّ أو سعيد، ثمّ ينفخ فيه الرّوح، فإنّ الرّجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنّة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النّار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النّار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنّة» (رواه البخاري ٣٢٠٨، ومسلم ٢٦٤٣).

فالرزق مقدر ومكتوب لا يسوقه حرص حريص ولا تدفعه كراهة كاره، والأجل محدود لا تطيله الحيطة ولا يقصره ضدها، وعمله صالحا كان أو طالحا ميسّر له، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «اعملوا فكل ميسّر لما خلق له».

ولو كتبت لعبد النجاة من أمر فكادته السّماوات والأرض إلا الله جعل له منها مخرجا، ولو قدر على عبد الوقوع في شيء فأراد من في السماوات ومن في الأرض أن يدفعوا عنه، لم يدفعوا عنه إلا من بعد أن يأذن الله بذلك؛ قال صلى الله عليه وسلم: «واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك

بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك» (سنن الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني).

حاجة العباد إلى الإيمان بقدر الله تعالى:

لقد قدر الله تعالى للناس بحكمته آجالا معلومة، وأرزاقا مقسومة، وآثارا موطوءة، وهذا معتقد لا مفر من التسليم به لوضوح أمره «رفعت الأقلام وجفت الصحف». وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود، قال: قالت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئا قبل حله، أو يؤخر شيئا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيرا وأفضل» (رواه مسلم: ٢٦٦٣).

وحاجة العباد إلى الإيمان بالقدر فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا تتم النجاة من هذه الفتنة بين الخلق إلا بأمور أولها: الإيمان بالقدر، كما أنه لا راحة للعبد ولا طمأنينة إلا بالإيمان بالقدر.

ومن أراد أن ينازع الله في أقداره فهو مغلوب محروب فلا يأتي بحجة إلا دحضت، ولا زخرف قول إلا بطل ودرس أثره وانقضى أمره، ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل.

وفي الله خلف من كل فائت، وعوض من كل مصيبة، وعزاء من كل هالك، والفائز من حاز الثواب، والخائب الخاسر من أمن العقاب، حتى حق عليه العذاب.

وبهذا المعتقد يركن العبد إلى ركن مولاه الشديد، ويأوي إلى ظل رحمته المديد، فلا يكون مستراحه إلا هناك، وهذا وعد صادق والشك فيه غاية الجهل، ونهاية التقصير عن مرتبة الفضل.

فلم الجزع مما لا بد منه؟! ولم الهلع إلى ما لا ترجى فائدته؟! واعلم أن المصيبة تهون مع مرور الزمان وتعاقب الأيام، وأعظم منها سوء الظن بالله تعالى وسوء الخلف منها؛ فأفق فإن المرجع قريب.

ثم إننا في الدنيا نهب للمصائب وأهداف للمنايا، وأغراض لمقادير الخفايا والخبايا، والحياة لا تخلو من الغصص والنغص، فكم من جرعة فيها شرق؟! وكم من أكلة فيها غصص؟! ولا تكاد تكتمل نعمة من النعم حتى يعتريها النقص، ولا تنال نعمة إلا بفراق أخرى، فنحن نساق إلى الفناء فكيف نرجو البقاء، وأنفاسنا خطانا على طريق الآجال، ومشينا منتهى الآمال، ومقدار اللبث في الدنيا قليل، والحبس في القبور طويل.

الاستعانة بالله والتعلق به:

من استعان بالله أعانه، ومن سأله حاجته أعطاه ومانه (من المؤونة)، فربنا حيي كريم.

قال تعالى: «إياك نعبد وإياك نستعين». ولما توعد فرعون موسى وقومه بالقتل والقهر كان المخرج في الاستعانة بالله تعالى واستصحاب الصبر قال الله تعالى أيضا: «وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (الأعراف: ١٢٧-١٢٨). وقال صلى الله عليه وسلم في وصيته لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما «وإذا استعنت فاستعن بالله» وهذا من أوصل حبال النجاة، والسعيد من وفق إليه والشقي من حرمه، ولا خاذل لمن وفقه الله، ولا مضل لمن هداه الله.

فمتى ما رأيت من نفسك عجزا عن مواجهة الفتن وضعفا في مجابهة المحن فسل المنعم والجأ إليه فهو الموفق والمعين فلن تنال خيرا إلا به «وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ» (الأنبياء: ١١٢).

أخي المؤمن: حفز نفسك، وأوقد بالعمل والجد عزمك، واحث مطايا همتك فإن الهمة قد تقصر والعزيمة قد تنطفئ وتفتر فإذا حدوتها كحداء الإبل سارت مع الركاب وسابقتها فسبقتها وفتح لها الباب.

أحضر عقلك، وتدبر أمرك، وأعمل فكرك، واخل بربك وسله التوفيق فستعان على سلوك الطريق من غير رفيق، واحذر الكسل فإن بئس الصاحب والصديق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

واحة

من نور كتاب الله

الاتعاظ بهلاك الأمم السابقة

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ⑬ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ١٣، ١٤).

من دلائل النبوة

عن ابن المنكدر أنَّ سفينةَ مولى رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم أخطأ الجيشَ بأرضِ الرُّوم أو أُسِرَ، فانطلقَ هاربًا يلتمسُ الجيشَ؛ فإذا هوَ بالأسد، فقال: يا أبا الحارثِ! أنا مولى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كانَ من أمري كيتَ وكيتَ، فأقبلَ الأسدُ له بصبَصةٍ حتى قامَ إلى جنبه كلَّما سمعَ صوتًا أهوى إليه، ثمَّ أقبلَ يمشي إلى جنبه حتى بلغ الجيشَ، ثمَّ رجع الأسدُ".

(مشكاة المصابيح ٥٨٩٣).

حِكَم ومواعظ

عن هشام بن حسان قال: سمعت الحسن يحلف بالله: ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله.

(سير أعلام النبلاء).

من أقوال آل البيت عن الصحابة

عن كثير النواء قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي: جعلني الله فداك! أرأيت أبا بكر وعمر هل ظلماكم من حقكم من شيء أو ذهبا به؟ قال: "لا والذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، ما ظلمانا من حقنا شيئًا"

(أصول الاعتقاد).

من حكمة الشعر

قال ابن عبد ربه:

وأحكم بيت قيل في تمثيل الدنيا قول الشاعر:

ومن يأمن الدّنيا يكن مثل قابض... على الماء خانته فروج الأصابع

(العقد الفريد)

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ترك الذنوب سبيل إلى الجنة

عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اكفُلوا لي بستٍّ، أكفُلْ لكم بالجنَّة، إذا حدَّث أحدُكم فلا يكذبْ، وإذا اؤتُمِنَ فلا يخُنْ، وإذا وعد فلا يُخلفْ، وغُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيديَكم، واحفظوا فروجَكم". (صحيح الجامع ١٢٢٥).

أول مَن ابتدع الاحتفال بالمولد النبوي

قال العلامة محمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة: "أول مَن ابتدعها الدولة اليهودية الباطنية المجرمة الخبيثة الفاسدة المفسدة: دولة العبيديين المتسماة كذبًا وزورًا وخداعًا وتغريرًا باسم "الفاطميين" وهي بريئة منهم.

(مجلة الهدي النبوي).

من سير الخلفاء الراشدين

لما أُتيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه. قال: إن الذي أدّى هذا لأمينٌ. قال له رجل: يا أمير المؤمنين، أنتَ أمينُ الله، يؤدّون إليك ما أدّيْتَ إلى الله تعالى، فإن رتعت رتعوا.

(العقد الفريد).

من أقوال السلف

عن يونس بن عبد الأعلى قال: قلت للشافعي: قال صاحبنا الليث بن سعد: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته، فقال الشافعي: "أما إنه قصَّر، لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته" (ذم الكلام).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(من اقتراب الساعة: هلاك العرب). أخرجه الترمذي عن محمد بن أبي رزين عن أمه قالت: كانت أم الحرير إذا مات أحد من العرب اشتد عليها، فقيل لها: إنا نراك إذا مات الرجل من العرب اشتد عليك؟ قالت: سمعت مولاي يقول... فذكره مرفوعًا. وقال-مضعِّفًا-: "حديث غريب".

(السلسلة الضعيفة للألباني).

أثر السياق في فهم النص (١١٨)

حجاب المرأة المسلمة

(٢٨)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

ما يزال حديثنا متصلاً حول حجاب المرأة المسلمة- الدليل والاستدلال-، وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن الكريم، ثم انتقلت إلى أدلة السنة، ووصلت إلى الدليل الثامن والعشرين:

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: "كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام". (صحيح ابن خزيمة ح٢٦٩٠، وقال الأعظمي: إسناده صحيح، مستدرك الحاكم ح١٦٦٨، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والألباني في إرواء الغليل ٤/٢١٢).

ولا شك أن الحديث يدل على مشروعية النقاب للمرأة، ولكن الخلاف ليس في مشروعيته، فهذا لا نزاع فيه، إنما الخلاف في حكمه الفقهي، هل هو على الوجوب أم على الاستحباب.

فقد استدل بالأثر من قال بوجوب تغطية وجه المرأة، وإنما النهي عن تغطيته بالنقاب المفصل على قدر الوجه، فوجه المرأة في الإحرام كجسد الرجل، فإنه مأمور أن لا يلبس ما خيط على قدر جسده، لكنه مأمور أن يستر جسده ولا يُظهره، وكذلك وجه المرأة.

يقول ابن القيم عن المرأة المحرمة: "فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لها كشف الوجه في الإحرام وغيره، وإنما جاء النص بالنهي عن النقاب خاصة، كما جاء بالنهي عن القفازين، وجاء النهي عن لبس القميص والسراويل، ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها تكون مكشوفة لا تستر البتة، بل قد أجمع الناس على أن المحرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء، وأسافله بالإزار مع أن مخرج النهي عن النقاب والقفازين والقميص والسراويل واحد، وكيف يزاد على موجب النص، ويُفهم منه أنه شرع لها كشف وجهها بين الملأ جهارًا، فأيّ نص اقتضى هذا أو مفهوم أو عموم أو قياس أو مصلحة، بل وجه المرأة كبدن الرجل يحرم ستره بالمفصل على قدره كالنقاب والبرقع، بل ويدها يحرم سترها بالمفصل على قدر اليد كالقفاز، وأما سترها بالكمّ وستر الوجه بالملاءة والخمار والثوب فلم يُنْه عنه البتة..". ثم قال: "وقول من قال من السلف: إحرام المرأة في وجهها؛ إنما أراد به هذا المعنى، أي لا يلزمها اجتناب اللباس كما

يلزم الرجل، بل يلزمها اجتناب النقاب، فيكون وجهها كبدن الرجل. (انظر بدائع الفوائد ١٤٢/٣).

وقد قال التويجري عن هذا الأثر وعن نظائره، كالأثر الذى ورد عن فاطمة بنت المنذر: "كنا نخمّر وجوهنا ونحن محرمات، ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها" (أخرجه مالك في الموطأ ح١٦، وقال الألباني في الإرواء: صحيح، وكذلك الأرناؤوط في المسند ٤٠/٢٣)، قال: وهذه الآثار تدل على أن احتجاب النساء عن الرجال الأجانب في حال الإحرام وغيره، كان هو المعروف المعمول به عند نساء الصحابة فمن بعدهم.(الصارم المشهور ص ١٠٥).

ويقول الشيخ ابن عثيمين عن أحاديث ستر الوجه للمحرمة: دليل على وجوب ستر الوجه؛ لأن المشروع في الإحرام كشفه، فلولا وجود مانع قوي من كشفه حينئذ لوجب بقاؤه مكشوفا حتى للركبان، وبيان ذلك أن كشف الوجه في الإحرام واجب على النساء عند الأكثر من أهل العلم، والواجب لا يعارضه إلا ما هو واجب، فلولا وجوب الاحتجاب وتغطية الوجه عن الأجانب ما ساغ ترك الواجب من كشفه حال الإحرام (انظر: ثلاث رسائل في الحجاب ص ٣٤-٣٥).

ومن قال بكشف الوجه لم ينازع في الحديث، فهو يدل عنده على مشروعية تغطية الوجه، وهناك فارق بين المشروعية والوجوب. ويستدل بحديث عائشة رضي الله عنها: "المحرمة تلبس من الثياب ما شاءت إلا ثوبًا مسّه ورس أو زعفران، ولا تتبرقع، ولا تتلثم، وتسدل الثوب على وجهها إن شاءت" (أخرجه البيهقي في الكبرى ح٩٠٥٠، قال الألباني: صحيح، إرواء الغليل ٢١٢/٤، وكذلك صححه الأرناؤوط في المسند ٤٠/٢٢).

قال الخطابي: قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى المحرمة عن النقاب، فأما سدل الثوب على وجهها من رأسها، فقد رخّص فيه غير واحد من الفقهاء، ومنعوها أن تلفّ الثوب أو الخمار على وجهها أو تشدّ النقاب أو تتلثم أو تتبرقع. ومن قال بأن للمرأة أن تسدل الثوب على وجهها من فوق رأسها: عطاء ومالك، وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وإسحاق وهو، قول محمد بن الحسن، وقد علق الشافعي القول فيه. (معالم السنن ١٧٩/٢).

لكن قول عائشة رضي الله عنها: «إن شاءت» لا يدل على الإلزام، وهذا ما ذهب إليه الألباني، ونقل أقوال الأئمة الأربعة في هذه المسألة، فقال: أولاً: مذهب أبي حنيفة: قال الإمام محمد بن الحسن في الموطأ (ص ٢٠٥ بشرح التعليق الممجد-هندية): ولا ينبغي للمرأة المحرمة أن تنتقب، فإن أرادت أن تغطي وجهها فلتسدل الثوب سدلا من فوق خمارها، وهو قول أبي حنيفة والعامة من فقهائنا. وقال أبو جعفر الطحاوي (شرح المعاني ٢/٣٩٢-٣٩٣): أبيح للناس أن ينظروا الى ما ليس بمحرم عليهم من النساء إلى وجوههن وأكفهن، وحرم ذلك عليهم من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمه الله تعالى. ثانيًا: مذهب مالك: روى عنه صاحبه عبدالرحمن بن القاسم المصري في المدونة (٢٢١/٢) نحو قول الإمام محمد في المحْرِمة إذا أرادت أن تسدل على وجهها، وزاد في البيان فقال: فإن كانت لا تريد سترا فلا تسدل. ونقله ابن عبد البر في التمهيد (١١١/١٥) وارتضاه.

ثالثا مذهب الشافعي: قال في كتابه "الأم" (١٨٥/٢): المحرمة لا تخمّر وجهها إلا أن تريد أن تستر وجهها فتجافي.

رابعًا: مذهب أحمد: روى ابن صالح في مسائله ٣١٩/١ عنه قال: المحرمة لا تخمّر وجهها ولا تنتقب، والسدل ليس به بأس تسدل على وجهها.

قلت (الألباني) فقوله: ليس به بأس، يدل على جواز السدل" (الرد المفحم ٣٦/١).

وفى الموسوعة الفقهية: "اتفق العلماء على أنه يحرم على المرأة في الإحرام ستر وجهها، لا خلاف بينهم في ذلك، والدليل عليه من النقل ما سبق في الحديث: ولا تنتقب المرأة ولا تلبس القفازين... وإذا أرادت أن تحتجب بستر وجهها عن الرجال، جاز لها ذلك اتفاقا بين العلماء، إلا إذا خشيت الفتنة أو ظنّت (أي: الفتنة) فإنه

يكون واجبًا (انظر الموسوعة الكويتية ٢/١٥٧).

الدليل التاسع والعشرون:

عن عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرًا أقرع بين أزواجه.... وفيه: فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي. (أخرجه البخاري ح٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠، ومواطن أخرى، ومسلم ح٢٧٧٠، ومسند أحمد ح ٢٥٦٢٣، وغيرهم). (فرأى سواد إنسان: أي شخصه).

الشاهد في الحديث: "فخمرت وجهي": أي غطيته بجلبابي. قال في طرح التثريب: "وفيه-أي الحديث- تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحًا أو غيره" (طرح التثريب لزين الدين العراقي ٨/٥٣).

يقول السندي: "في هذا الحديث شاهد قوي، ودليل واضح على أن الوجه عورة وزينة، ولذا خمرت الصديقة بنت الصديق وجهها"(انظر ثلاث رسائل في الحجاب ص٩٦). قلت: وهذا يعود بنا إلى مسألة سبق أن تكلمت عنها: وهي هل النقاب فرض على كل النساء كما هو فرض على أمهات المؤمنين؟

لا شك أن النقاب فرض على أمهات المؤمنين اتفاقًا، لا خلاف في ذلك. إنما الخلاف في دخول غير أمهات المؤمنين من النساء في فرضية النقاب عليهن: ففريق ذهب إلى أن الأمر بالنقاب يشمل أمهات المؤمنين وغيرهن من النساء، وفريق قصر الأمر على أمهات المؤمنين، ويدخل غيرهن من النساء استحبابًا وتقليدًا لأمهات المؤمنين (ارجع إلى كلامي عن آيات الحجاب في الأعداد من ١ إلى ٨ في المجلة).

قلت: الحديث ليس قطعي الدلالة في وجوب النقاب على غير أمهات المؤمنين؛ لأنه خاص بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. وإنما قد يصلح للاستدلال على فضل النقاب وعلى فضل التأسي بأمهات المؤمنين.

الدليل الثلاثون:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تفسير قول الله تعالى: «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ»(القصص:٢٥)، قال: "ليست بسلفع من النساء خرَّاجة ولَّاجة، ولكن جاءت مستترة قد وضعت كُمَّ درعها على وجهها استحياء". (السلفع من النساء: هي الجريئة على الرجال: قال ابن كثير بعد ذكر الأثر(٥/٢٢٨): هذا إسناد صحيح).

وفي تفسير مجاهد قال: "واضعة ثوبها على وجهها". (انظر تفسير مجاهد ص٥٢٦). وفي تفسير يحيى بن سلام: "واضعة يديها على وجهها" (انظر تفسير يحيى بن سليمان ٢/٥٨٧).

وفي تفسير الطبري: فجاءت موسى إحدى المرأتين اللتين سقى لهما، تمشي على استحياء من موسى عليه السلام قد سترت وجهها بثوبها. ونقل عن عمر رضي الله عنه قال: "مستترة بكمِّ درعها أو بكُمِّ قميصها. ونقل عنه أيضًا: واضعة يدها على وجهها مستترة. وذكر عن الحسن في قوله تعالى: «تمشي على استحياء» قال: بعيدة من البذاء، وعن السدي قال: أتته تمشي على استحياء منه (انظر تفسير الطبري ١٩/٥٥٩).

وفي تفسير الماتريدي: «تمشي على استحياء» مشي من لم يعتد الخروج، أو: تمشي مشي مَن لم يخالط الناس (انظر تفسير الماتريدي ٨/١٦١). وفي تفسير الجلالين: أي واضعة كمَّ درعها على وجهها حياءً منه (تفسير الجلالين ص٥١١).

ويقول السعدي عن الآية: "وهذا يدل على كرم عضدها، وخُلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصًا في النساء" (تفسير السعدى ص٦١٤).

والأثر أورده التويجري في جملة أدلة وجوب النقاب.

قلت: يُستدل بالآية على حياء المرأة وخجلها من التعامل مع الرجال، على أنه فيما أوردت من أقوال المفسرين، أنها لم تكن تضع شيئًا خاصًا مفصلاً على قدر وجهها كالنقاب لستره. إنما سترته بثوبها أو بكُمِّها أو بيديها. والله أعلم. وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

أحكام الصلاة

صلاة التطوُّع

الحلقة السابعة

صلاة الضحى (٢)

اعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال الحديث موصولا عن صلاة التطوع، وقد تكلمنا في الحلقة السابقة عن صلاة الضحى، وبينا الأحاديث الواردة في فضلها، وذكرنا حكمها عند أهل العلم، ووقفنا عند الأقوال الستة التي جمعها ابن القيم في حكمها، ونبدأ في هذه الحلقة ذكر أدلة هذه الأقوال، وبيان الراجح منها.

القول الأول: أنها سُنة، وهذه الطائفة رجحت رواية الفعل على الترك، واستدلوا بالأحاديث التي وردت في فضل صلاة الضحى، وهي أحاديث صحيحة متضمنة للوصية بها والمحافظة عليها، ومدح فاعلها والثناء عليه، وأذكر منها.

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يُصْبِحُ على كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى" (صحيح مسلم ٧٢٠).

والحديث يدل على عظم فضل الضحى، وكبير موقعها، وتأكد مشروعيتها، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم بِثَلاثٍ: صِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ" (صحيح البخاري ١٩٨١).

قال المهلب: "في حديث أبي هريرة الترغيب في صلاة الضحى والحض عليها؛ لأنه لا يوصيه النبي صلى الله عليه وسلم بالمحافظة على عمل إلا وله في عمله جزيل الأجر وعظيم الثواب". (انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال).

وأجيب بأن الصحيح من أحاديث الوصية بها كحديث أبي هريرة رضي الله عنه لا يدل على أنها سنة راتبة لكل أحد، وإنما أوصى أبا هريرة بذلك؛ لأنه أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة، فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة. (انظر زاد المعاد لابن قيم الجوزية بتصرف).

والأحاديث التي قدمناها في فضل صلاة الضحى، وهي أحاديث صحيحة: ترد اعتذار من اعتذر عن أحاديث الوصية بها بما تقدم من الاختصاص بأصحابها.

والقول الثاني: أنها لا تستحب أصلاً، ويروى هذا القول عن عائشة، وابن مسعود، وابن عمر، وأبي

بكرة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

واحتجوا بأدلة منها:

عن مورّق أنه قال «قلت لابن عمر رضي الله عنهما: أتصلي الضحى؟ قال: لا. قلت فعمر؟ قال: لا. قلت: فأبو بكر؟ قال: لا. قلت: فالنبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا إخاله». رواه البخاري.

فحديث ابن عمر يؤخذ منه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي الضحى، من لفظة «لا إخاله».

والرد عليه من وجوه:

١- إن هذه اللفظة «لا إخاله» تنبئ عن الشك والظن وعدم التثبت، وبذلك يصبح الخبر محتملاً، ومع الاحتمال يسقط الاستدلال.

٢- إن ابن عمر رضي الله عنهما يحتمل أنه لم يبلغه النص بثبوت صلاة الضحى، فرأى كأنهم يفعلون أو يتكلفون فعلاً لا أصل له، وقد كان حريصًا على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فأنكر على حسب علمه. (انظر شرح زاد المستقنع للشنقيطي، والجامع لأحكام الصلاة لمحمود عويضة).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي سُبحة الضحى قط...» رواه البخاري، ومسلم.

قال أبو الحسن علي بن بطال: "فأخذ قوم من السلف بحديث عائشة، ولم يروا صلاة الضحى" (شرح صحيح البخاري).

وأجيب عنه بأن مُعاذة العدوية حدثتهم عن عائشة قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى أربعًا، ويزيد ما شاء الله» رواه مسلم.

إذن فإن الروايات المنقولة عن عائشة رضي الله عنها جاءت متعارضة ومتناقضة.

وروى الشعبي عن قيس بن عبيد قال: كنت أختلف إلى ابن مسعود السنة كلها فما رأيته مصليًا الضحى، وروي عن عبد الرحمن بن عوف أنه كان لا يصلي الضحى، وسئل أنس بن مالك عن صلاة الضحى، فقال: الصلوات خمس.

وهذه الطائفة ذهبت إلى أحاديث الترك، ورجّحتها من جهة صحة إسنادها، وعمل الصحابة بموجبها.

ورد عليهم بأنه رجحت رواية الفعل على الترك؛ لأنها مثبتة تتضمن زيادة علم خفيت على النافي، والقاعدة أن المثبت مقدَّم على النافي، ومَن علم حجة على من لا يعلم، وقد يجوز أن يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس، ويوجد عند الأقل.

والقول الثالث: أنها لا تُشرع إلا لسبب، وهذه الطائفة ذهبت إلى أنه صلى الله عليه وسلم لم يفعلها إلا لسبب، فاتفق وقوعه وقت الضحى، وتعددت الأسباب فمن أدلتهم:

حديث أم هانئ في صلاته يوم الفتح قالت: "لما كان عام الفتح، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غسله، فسترت عليه فاطمة، ثم أخذ ثوبه، فالتحف به، ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحى". أخرجه الشيخان. وفي رواية لمسلم ومالك بلفظ «قالت أم هانئ: وذلك ضحى».

قالوا: وقول أم هانئ: وذلك ضحى تريد أن فعله لهذه الصلاة كان ضحى لا أن الضحى اسم لتلك الصلاة كان لسبب الفتح، وأن سنة الفتح أن يصلي عنده ثمان ركعات فكانت شكرًا لله على الفتح، وكان الأمراء يسمونها صلاة الفتح، ولذلك لما فتح سعد بن أبي وقاص إيوان كسرى صلى فيه هذه الثمان الركعات، وذكر الطبري في تاريخه عن الشعبي قال: لما فتح خالد بن الوليد الحيرة صلى صلاة الفتح ثمان ركعات لم يسلم فيهن، ثم انصرف (انظر نيل الأوطار للشوكاني، شرح زاد المستقنع للشنقيطي).

حديث عبد الله بن شقيق أنه قال «قلت لعائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت: لا، إلا أن يجيء من مغيبه» رواه البخاري ومسلم.

فقول عائشة: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى إلا أن يقدم من مغيبه من أبين الأمور أن صلاته لها إنما كانت لسبب؛ فهذا كان هديه. (انظر زاد المعاد لابن قيم الجوزية).

حديث عتبان بن مالك فإن عتبان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أنكرت بصري وان السيول تحول بيني وبين مسجد قومي، فوددت أنك جئت فصليت في بيتي مكانا أتخذه مسجدا

فقال: أفعل إن شاء الله تعالى. قال: فغدا عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حتى قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ فأشرت إليه بالمكان الذي أحب أن يصلي فيه فقام وصففنا خلفه وصلى ثم سلم وسلمنا حين سلم" (متفق عليه).

قالوا: وأما صلاته في بيت عتبان بن مالك فكانت لسبب وهو تعليم عتبان إلى أين يصلي في بيته النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سأل ذلك. فهذا أصل هذه الصلاة وقصتها، ولفظ البخاري فيها فاختصره بعض الرواة عن عتبان فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتي سبحة الضحى فقاموا وراءه فصلوا.

قال ابن قيم الجوزية: "ومن تأمل الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة وجدها لا تدل إلا على هذا القول، وأما أحاديث الترغيب فيها والوصية بها فالصحيح منها كحديث أبي هريرة وأبي ذر لا يدل على أنها سنة راتبة لكل أحد" (زاد المعاد).

ويجاب عن هذه الأدلة بما سلف من الأحاديث التي ذكرناها في القول الأول، وأنها جاءت عامة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

القول الرابع: يُستحب فعلها تارة وتركها أخرى: ويروى هذا القول عن بعض الصحابة، وهذا أحدُ الروايتين عن أحمد، وحكاه الطبري عن جماعة، وهذه الطائفة ذهبت إلى استحباب فعلها غبًا، فتصلى في بعض الأيام دون بعض.

واحتجوا بحديث أبي سعيد: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول: لا يدعها، ويدعها حتى نقول: لا يصليها" رواه أحمد والترمذي.

وأجيب عنه بأن الحديث ضعيف لا يصح.

وعن عكرمة قال: كان ابن عباس يصليها يومًا ويدعها عشرة أيام، يعني صلاة الضحى.

وعن ابن عمر أنه كان لا يصلي الضحى فإذا أتى مسجد قباء صلى، وكان يأتيه كل سبت.

وروى سفيان عن منصور قال: "كانوا يكرهون أن يحافظوا عليها كالمكتوبة، ويُصلون ويدعُون؛ يعني صلاة الضحى"، وعن سعيد بن جبير: "إني لأدع صلاة الضحى وأنا أشتهيها مخافة أن أراها حتما عليَّ.

قالوا: وهذا أولى لئلا يتوهم متوهم وجوبها بالمحافظة عليها أو كونها سنة راتبة.

وأجيب عن هذه الأدلة بأن كونه لم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه داوم عليها لا يمنع المداومة عليها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم دل على فضلها بالسنة القولية، وقد كان يترك فعل الشيء وهو يحب أن يفعله خشية أن يفترض على الأمة، مع أن عدم النقل لا يدل على عدم الوجوب. (شرح زاد المستقنع للشنقيطي).

القول الخامس: تستحب صلاتها والمحافظة عليها في البيوت، ولم يذكر من نقل هذا القول دليلاً عليه.

القول السادس: أنها بدعة، روي ذلك عن ابن عمر، وعبد الرحمن بن عوف، وإليه ذهب الهادي والقاسم، وأبو طالب. واحتجوا بما روي عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر جالس عند حجرة عائشة، وإذا الناس في المسجد يصلون صلاة الضحى فسألناه عن صلاتهم فقال: بدعة.

ويجاب عنه بأن ابن عمر إنما أنكر على الناس قصدهم مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة الضحى، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلف فعلها في المسجد، فحينئذٍ يكون كأنه يوافق في أصل المشروعية، ولكنْ ينكر صفة الإيقاع، وقد يكون الشيء مشروعًا بأصله، ولكنه غير مشروع بوصفه، ويؤيد ذلك قول الشعبي: سمعت ابن عمر يقول: "ما ابتدع المسلمون أفضل صلاة من الضحى" (شرح زاد المستقنع للشنقيطي).

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: "رأى أبو بكرة ناسًا يصلون الضحى، قال: إنكم لتصلون صلاة ما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عامة أصحابه".

ويُجاب عنه بأن المثبت مقدَّم على النافي.

وبذلك يترجح لدينا القول الأول: للروايات العديدة الصحيحة التي تثبتها؛ إذ الصحيح الثابت أن صلاة الضحى مشروعة ومندوبة، وتُستحبّ المواظبة عليها؛ لعموم الأحاديث الصحيحة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

لغة الجسد وأهميتها للدعاة بين النظرية والتطبيق

الحلقة الثانية

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: قلنا قبل ذلك: يُعَدُّ علم لغة الجسد من أشهر الأدوات وأهمها التي يجب أن يتعلمها الدعاة والخطباء ومن يتصدرون للفتوى ولمخاطبة الناس، فمن يتمكن من فهم لغة الجسد، يستطيع التعرف على الحالة النفسية للمستمع، أو التلميذ، أو المفاوض، أو المتكلم، فيرى ما يخفيه المتحدث والمستمع من مكنونات نفسه التي تظهر دون إرادة كاستجابة واستمتاع واستماع بما يقال أو ينطق فيسهب أو يختصر، وذلك من خلال حركات الأيدي، أو الوجه، أو القدمين، كما يمكن لمتقني التخصص التعرف على النمط الشخصي للمستمع أو للمحاور هل هو حسي أو بصري أو سمعي فينوع في أسلوبه وذلك من خلال قراءته للنظرات والإيماءات، والكلمات، والإشارات غير اللفظية أيضًا. لذا نبدأ بطريقة علمية في الموضوع.

تعريف لغة الجسد:

لغة الجسد لغةً:

يرى البعض أن مصطلح لغة الجسد مركب من كلمتين هي (لغة) و(الجسد)، وبالرجوع للمعاجم العربية تبين أن كلمة (لغة) تعني أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

وكلمة (جسد) تطلق على جسم الإنسان. (لسان العرب، لابن منظور: ٣/ ١٢٠).

لغة الجسد اصطلاحاً:

من التفسيرات التي يعول عليها الباحثون في هذا المجال تعريف آلن وباربارا بييرز: أن تكون قادرًا على رصد ما بين كلمات الشخص ولغة جسده من تناقضات. (آلن وباربارا بييرز، ٢٠٠٨، ص١٣).

لغة الجسد: نوع من التواصل غير الشفوي. (بيتر كليتون، لغة الجسد، ٢٠٠٥، ص٦).

نخلص مما سبق إلى أن: لغة الجسد تلك الحركات التي يقوم بها بعض الأفراد مستخدمين أيديهم، أو تعبيرات الوجه، أو أقدامهم، أو نبرات صوتهم، أو هز الكتف، أو الرأس، ليفهم المخاطب بشكل أفضل المعلومة التي يريد أن تصل إليه، وهناك بعض الأشخاص الحذرين والأكثر حرصًا، وأولئك الذين يستطيعون تثبيت ملامح الوجه، وأولئك الذين لا يريدون الإفصاح عما بداخلهم فهم المتحفظون، ولكن يمكن أيضًا معرفة انطباعاتهم من خلال وسائل أخرى.

وفي دراسة قام بها أحد علماء النفس اكتشف أن ٧٪ فقط من الاتصال يكون بالكلمات، و٣٨٪ بنبرة الصوت، و٥٥٪ بلغة الجسد، ولو اختلفت الكلمات ولغة الجسد فإن الفرد يميل إلى تصديق لغة الجسد، وعلى الرغم من استخدام لغة الجسد من تاريخ النشأة الإنسانية، إلا أن مظاهر الاتصال غير الشفهي لم تدرس عمليًا على أي مقياس إلا منذ الستينيات من القرن الماضي، خصوصًا عندما نشر دجوليوس فاست كتابه عن لغة الجسد عام ١٩٧٠. (مدحت محمد أبو النصر، لغة الجسد، ٢٠٠٦).

وقام البروفسور برد هويسل ببعض التقديرات المماثلة، وتوصل إلى أن الشخص العادي يتحدث بالكلمات ما يناهز عشر دقائق في اليوم الواحد، وأن الجملة المتوسطة تستغرق حوالي ثانيتين ونصفًا. ويتفق معظم الباحثين على أن القناة الشفهية تستخدم أساسًا لنقل المعلومات، في حين أن القناة غير الشفهية تستخدم للتفاوض في المواقف ما بين الأشخاص، وفي بعض الحالات كبديل للرسائل الشفهية.

لقد تطورت اللغات الإنسانية، وكذلك تطورت معها وسائل التواصل والاتصال، إلا أن الإنسان لم يستطع الاستغناء عن لغة الجسد التي حباه الله بها، فهو يستخدمها مع كل حرف يصدره، أو كلمة يقولها، أو عبارة ينشئها، فهي كالملح في الطعام، لا يكون له طعم إلا به، وبدونها يغدو الكلام جافًا، أو مبهمًا، أو خاليًا من الذوق، كذلك أصبحت من عادات الشعوب التي تستطيع معرفة جنسية أحدهم وأنت تراه من بعيد لا تسمع صوته بل ترى حركات يده وايماءاته مثل الشعب الإيطالي، ومن عايش المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية تراه عند التعجب والاعتراض يخرج لسانه، ويظهر لك يده اليمنى بظهرها ويرفعها أمامك.

لغة الجسد هي إشارات غير لفظية نستخدمها للتواصل، ووفقًا للعلماء والباحثين فإن هذه الإشارات غير اللفظية تشكل جزءًا كبيرًا من التواصل اليومي، بدءًا من تعابير الوجه إلى حركات الجسم، والأمور التي لا نقولها ونعبر عنها بالجسد يمكن أن تنقل كميات كبيرة من المعلومات وفقًا للدراسات والأبحاث المختلفة، فإن لغة الجسد تشكل ما بين ٥٠٪ إلى ٧٠٪ من جميع الاتصالات، ولغة الجسد غاية في الأهمية، ومن الضروري في نواح مختلفة مراجعتها، لتعلم المزيد عن بعض الأمور التي يجب أن تلاحظها عندما تحاول تفسير لغة الجسد، كما أنها تتكون من: اتصال العيون، وحركة اليد، وحركة الرأس، وتعبيرات الوجه وأيضًا الوقفة.

يقولون: السكوت علامة الرضا، وهذا صحيح في وضعية معينة يدركها الناظر، ولكن قد يكون السكوت علامة للحزن والاكتئاب، أو علامة للغضب قبل انفجاره، أو علامة للخوف، أو.. أو إلخ؛ لذا قلت يلزم المحاور أن يكون صاحب رؤية تحليلية وفوقية.

ولما كانت هذه اللغة: أي لغة الجسد ضرورية ومهمة في حياة الإنسان، بل في عالم المال والأعمال فقد صارت تُعلم للعمال والموظفين في كل المجالات، وخصوصًا في الأعمال التي تتطلب احتكاكًا بالجمهور كالفنادق، والمطارات، ومحطات القاطرات والسيارات، والمستشفيات، وغيرها، بل صارت لغة الدعاية والإعلان، فكل صورة إعلانية لا

تنفك تشتمل على إشارات غير شفهية تغزو «لا شعور» المتلقي، ولقد صارت هذه اللغة معيار نجاح الشركات والمؤسسات الاقتصادية الصغرى والكبرى، يتوقف نجاحها على حُسن توظيف وتفعيل هذه اللغة بدءًا من مكان العمل، وانتهاء بالعاملين والموظفين وبأن تعتمد لونًا موحدًا للمنتج أو للشركة، فمن باب أولى يتعلمها الدعاة والخطباء فالجمهور واحد والمنتج مختلف والغاية مختلفة فنحن أولى بها منهم.

استراتيجيات لغة الجسد:

يريد الكثير منا أن يفوز بالحوار أو أن يبلغ مراده من خصمه أو مفاوضه، فعليه أن يتميز بمهاراته فكل له مهارات، ولكن مهارة قراءة لغة الجسد لا يحسنها الكثير؛ لأنها مهارة تحتاج إلى مستمع يتميز عن غيره بـ:

أن يكون متوكلًا على الله، مستعينًا به، قاصدًا بحديثه وجه الله.

أن يكون صاحب رؤية تحليلية.

أن يكون صاحب نظرة فوقية دون استعلاء.

أن يكون صاحب ثقة بنفسه.

أن يجيد التحكم بتعابير وجهه.

أن لا يحكم على الأشخاص بلغة أجسامهم فقط.

أن يأخذ ثقافة الشخص ومعتقداته بعين الاعتبار.

الأخذ في الاعتبار دائمًا أن لغة جسد الشخص قد تتأثر بحالته الطبية.

أن لا يبالغ في فحص لغة الجسد عند الناس حتى لا يعزل نفسه اجتماعيًا عنهم، وعليك أن تعلم أنه لا سبيل إلى كسب اليد العليا الاجتماعية على كل حال إلا بالاستعانة بالله تعالى.

والمتخصص في لغة الجسد يجد أن هناك عناصر لعملية لغة الجسد، كلها أعضاء جسدية ظاهرة؛ وذلك لأنه علم يدرس طرق التواصل غير اللفظي.

حركة الجسد تسبق اللفظ عند التواصل، لكن الأهم أن هذه الحركة تظهر ما يفكر العقل، ولا يريد اللسان النطق به.

علم لغة الجسد يظهر بعض الحركات التي يقوم بها الإنسان لا شعوريًا.

علم لغة الجسد يفصل طوبوغرافيا ومواقع تلك الحركات.

الحركات اللاشعورية للجسد هي علامات مرئية لما نخفيه من محفزات ومشاعر.

أخلاقيات تخصص لغة الجسد:

إن المتخصص في لغة الجسد هو بالدرجة الأولى ملاحظ جيد، وله بعض النصائح والأدبيات التي ذكرها الموقع الكندي في دليل علم الجسد، ترجمة محمد عبدالرحمن:

لا يتسرع في إصدار التفسير عند أول ملاحظة لوضعية أو إشارة.

يبدأ دائمًا من العام للوصول إلى الخاص.

يقوم بدراسة ملاحظاته بكل تواضع؛ إذ يمكن أن يكون قد نسي بعض التفاصيل والعوامل.

يقوم بدراسة ملاحظاته في الخفاء؛ احترامًا لخصوصيات الناس.

لا يمكن تقييم الآخر دون تقييم للذات؛ إذ قد تكون الحركات السلبية عند الآخرين مجرد ردود أفعال سلبية لتصرفاتنا السلبية.

يجب ألا ينسى أن من يعملون معه هم متعاونون وليسوا حالات دراسية في مختبر.

المتخصص في لغة الجسد يسجل ملاحظاته ذهنيًا.

المتخصص في لغة الجسد يعلم أننا لا نغير الآخر، ولكن نستطيع أن نغير أنفسنا ونظرتنا له. (المركز الكندي، ٢٠٠٥).

ونلتقي إن شاء الله في المقال القادم بعنوان: عناصر واستراتيجيات لغة الجسد

أخيرًا.. هذا فكري يحمله رأيي؛ أرجو أن تقرأ مبناه، وتستوعب معناه، ثم تستخلص بعد ذلك فحواه، وأرجو أخيرًا أن تتوج قراءتك لخواطري بالتواصل الهادف، والإضافة البناءة.

هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إعلام أهل الديانة بوجوب أداء الأمانة

الحلقة الثالثة

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد: ما يزال الحديث متصلاً عن الأمانة ووجوب أدائها، والتحذير من تضييعها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١٧- الولاية على المسلمين أمانة تحتاج إلى قوة:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ألا تَستَعمِلُني؟ قال: فَضَرَبَ بيَدِه على مَنكِبي، ثُمَّ قالَ: يا أبَا ذَرّ، إنَّكَ ضَعيفٌ، وإنَّها أمَانَةٌ، وإنَّها يومَ القيامَةِ خِزْيٌ وندامَةٌ، إلَّا مَن أخَذَها بحَقِّهَا، وأدَّى الَذي عليه فيها» (رواه مسلم)

قال الإمام الذهبي- رحمه الله- في: «سير أعلام النبلاء»: «وقدْ قالَ النَّبيُّ صَلَى اللهِ عَلَيْه وَسَلَمَ لأبي ذَرٍّ، مَعَ قُوَّة أبي ذَرٍّ في بدَنه وَشَجَاعَته: (يَا أبَا ذَرٍّ، إني أرَاكَ ضَعيفاً، وإني أحبُّ لَكَ مَا أحِبُّ لنَفْسي، لا تَأمَّرَنَّ علَى اثْنَيْن، ولا توَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيم) فَهذا مَحْمُوْل عَلَى ضَعْف الرَّأي؛ فإنَّهُ لو وَلِي مَالَ يتَيْم لأَنْفَقَهُ كُلَّهُ في سَبيْل الخَيْر، ولَتَرَكَ اليَتَيْمَ فَقيْراً. فَقَدْ ذَكَرْنَا أنَّهُ كانَ لاَ يَسْتَجيْزُ ادِّخَارَ النَّقْدَيْن. والَّذي يتَأمَّرُ عَلَى النَّاس، يُرِيْدُ أنْ يَكُوْنَ فيْه حلْمٌ وَمُدارَاةٌ، وَأبُو ذَرٍّ- رَضيَ الله عَنْه- كَانَتْ فيْه حدَّةٌ، فَنَصَحَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ» اهـ.

١٨- الأمانة شرط من شروط اختيار العاملين:

والقرآن حكى لنا قصَّة موسى حين سقى لابنتي الرَّجل الصَّالح، ورفق بهما، وكان معهما عفيفًا أمينًا، قال تعالى: « قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ » (القصص: ٢٦).

١٩- الأمر بأداء الأمانة للبر والفاجر:

قال ميمون بن مهران: «ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر: الأمانة والعهد وصلة الرحم»؛ لذلك ترك النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا في فراشه ليلة الهجرة المباركة لأداء الأمانات ورد الودائع إلى أهلها مع ما فعلوه معه ومع أصحابه الكرام من اضطهاد وإيذاء، ولكن أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمنا أن قيم الإسلام ثابتة لا تتجزأ ولا تتغير.

٢٠- المجالس بأماناتها:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا حدَّث الرجل بالحديث ثم التفت، فهي أمانةٌ». (رواه أبو داود وحسنه الألباني).

قال المباركفوري رحمه الله في «عون المعبود»: «(إذا حدث الرجل) أي عند أحد (بالحديث) أي الذي يريد إخفاءه (ثم التفت) أي يمينًا وشمالاً احتياطًا (فهي) أي ذلك الحديث، وأنت باعتبار خبره. وقيل لأن الحديث بمعنى الحكاية (أمانة) أي عند من حدثه أي حكمه حكم الأمانة فلا يجوز إضاعتها بإشاعتها. قال ابن رسلان: لأن التفاته إعلام لمن يحدثه أنه يخاف أن يسمع حديثه أحد، وأنه قد خصه سره، فكان الالتفات قائما مقام اكتم هذا عني أي خذه عني واكتمه وهو عندك أمانة. وقال العلقمي: أي إذا حدث أحد عندك بحديث

ثم غاب صار حديثه أمانة عندك ولا يجوز إضاعتها، ففسر «التفت» بغاب والظاهر هو الأول». اهـ.

٢١- حفظ أسرار المعاشرة الزوجية من أعظم الأمانات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ من أعْظم الأمَانَة عنْدَ الله يَومَ القيَامَة، الرَّجُل يُفْضي إلى امْرَأته، وَتُفْضي إليه، ثُمَّ يَنْشرُ سرَّها. وَقالَ ابن نُمَيْر: إنَّ أعْظَم» (رواه مسلم).

قال النووي – رحمه الله – في «شرح صحيح مسلم»: «في هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، فأما مجرد ذكر الجماع؛ فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه؛ لأنه خلاف المروءة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت). وإن كان إليه حاجة أو ترتّب عليه فائدة؛ بأن ينكر عليه إعراضه عنها، أو تدَّعي عليه العجز عن الجماع، أو نحو ذلك، فلا كراهة في ذكره، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إني لأفعله أنا وهذه)، وقال صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة: (أعرستم الليلة). وقال لجابر: (الكيس الكيس)» اهـ.

٢٢- ونهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قبض الأمانة بلا ضرورة:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «ستةَ أيام ثُمَّ اعْقلْ يا أبا ذَرٍّ! ما يقالُ لكَ بَعْدُ فلمَّا كانَ اليومُ السَّابعُ، قال: أوصيكَ بتَقْوَى الله في سرِّ أمْرِكَ وعَلانيَته، وإذا أسأْتَ فأحْسنْ، ولا تَسْألَنَّ أحدًا شيئًا وإنْ سقطَ سَوْطُكَ، ولا تَقْبضْ أمانَةً» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وحسنه الألباني لغيره).

قال الملا الهروي رحمه الله في «مرقاة المفاتيح»: «(ولا تقبض أمانة): أي من الناس بلا ضرورة مخافة الخيانة ولكونها مظنة التهمة ففيه دلالة على ثقل محملها، وصعوبة أدائها، ولذلك مثل الله تعالى ما له من التكليفات على المخلوقات بقوله: «إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» (الأحزاب: ٧٢)، (ولا تقضِ بين اثنين)؛ أي لا تحكم بين شخصين، فضلاً عن أن يكون زائدًا، وفيه إشارة إلى معنى قوله عليه الصلاة والسلام: (من جعل قاضيًا فقد ذبح بغير سكين) وسيأتي، ويمكن أنه صلى الله تعالى عليه وسلم إنما نهى أبا ذر عن قبض الأمانة، والحكم في الخصومة؛ لضعفه عن القيام بها كما سبق، أنه لما طلب الإمارة؛ قال له صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم». اهـ.

٢٣- عدم جواز الحلف بالأمانة:

عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حلفَ بالأمانة فليسَ منَّا». (رواه أبو داود وصححه الألباني).

قال المباركفوري رحمه الله في «عون المعبود»: «فليس منا: أي ممن اقتدى بطريقنا. قال القاضي: أي من ذوي أسوتنا، بل هو من المتشبهين بغيرنا، فإنه دين أهل الكتاب، ولعله أراد به الوعيد عليه، قاله القاري». اهـ.

٢٤- لا ضمان على مؤتمن:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ضَمانَ على مُؤتَمَنٍ». (أورده السيوطي في الجامع الصغير وحسنه الألباني).

قال الشوكاني رحمه الله في «نيل الأوطار»: «قوله: «لا ضمان على مؤتمن» فيه دليل على أنه لا ضمان على من كان أمينا على عين من الأعيان كالوديع والمستعير، أما الوديع فلا يضمن، قيل إجماعًا إلا لجناية منه على العين. وقد حكى في البحر الإجماع

على ذلك وتأول ما حكي عن الحسن البصري أن الوديع لا يضمن إلا بشرط الضمان بأن ذلك محمول على ضمان التفريط لا الجناية المتعمدة والوجه في تضمينه الجناية أنه صار بها خائنًا والخائن ضامن لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ولا على المستودع غير المغل ضمان»، والمغل هو الخائن وهكذا يضمن الوديع إذا وقع منه تعد في حفظ العين لأنه نوع من الخيانة وأما العارية فذهبت العترة والحنفية والمالكية إلى أنها غير مضمونة على المستعير إذا لم يحصل منه تعدٍّ». اهـ.

٢٥- وقد تكفل الله بأداء أمانات المؤمنين:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن أخَذَ أمْوالَ النَّاسِ يُرِيدُ أداءَها أدَّى اللَّهُ عنْه، ومَن أخَذَ يُرِيدُ إتْلافَها أتْلَفَهُ اللَّهُ» (رواه البخاري).

٢٦- إن الأمانة في الناس لقليل:

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «لَمَّا وقَفَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بذي طُوَى قال أبو قُحافةَ لابنةٍ له من أصغرِ ولَدِه: أيْ بُنَيَّةُ أظهِريني على أبي قُبَيْسٍ قالت: وقد كُفَّ بصَرُه فأشرَفَتْ به عليه قال: يا بُنَيَّةُ ماذا ترَيْنَ؟ قالت: أرى سوادًا مجتمِعًا قال: تلكَ الخيلُ قالت: وأرى رجُلًا يسعى بيْنَ يدَيْ ذلك السَّوادِ مُقبِلًا ومُدبِرًا قال: ذاك يا بُنَيَّةُ الوازِعُ الَّذي يأمُرُ الخيلَ ويتقدَّمُ إليها ثمَّ قالت: قد واللهِ انتشَر السَّوادُ فقال: قد واللهِ دُفِعَتِ الخيلُ فأسرِعي بي إلى بيتي فانحطَّتْ به فتلقَّاه الخيلُ قبْلَ أنْ يصِلَ إلى بيتِه وفي عُنُقِ الجاريةِ طوقٌ لها من ورِقٍ فتلقَّاها رجُلٌ فاقتلَعه من عُنُقِها... ثمَّ قام أبو بكرٍ وأخَذ بيدِ أختِه فقال: أنشُدُ اللهَ والإسلامَ طوقَ أختي فلَمْ يُجِبْه أحَدٌ فقال: يا أُخَيَّةُ احتسِبي طوقَكِ فواللهِ إنَّ الأمانةَ اليومَ في النَّاسِ لقليلٌ». (رواه ابن حبان في صحيحه، وحسنه شعيب الأرناؤوط).

وقَسَمُ أبي بكر رضي الله عنه «فواللهِ إنَّ الأمانةَ اليومَ في النَّاسِ لقليلٌ» تأكيد على قلة الأمانة في الناس في عهده، فماذا لو رأى أبو بكر ما يحدث بين الناس الآن من تضييع للأمانات، فماذا سيقول؟!!

٢٧- تفاوت الناس في الأمانة:

قال تعالى: «وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (آل عمران: ٧٥).

٢٨- الأمانة وكتابة الحقوق:

قال تعالى: «وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٨٣).

٢٩- خيانة الأمانة خصلة من خصل النفاق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِنَ خان» (رواه البخاري).

ومعنى كون هذه الصفات من علامات النفاق الكذب، وإخلاف الوعد، والخيانة، والغدر، والفجور عند المخاصمة: من أبرز صفات المنافقين من أهل المدينة الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والقرآن مليء بالآيات التي تصف حالهم هذا، وهم إنما عرفوا بها، والله عز وجل يقول: «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ» (محمد: ٣٠).

٣٠- خيانة الأمانة خيانة لله ولرسوله:

(قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» (الأنفال: ٢٧).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الطبع أم الشرع؟!

إعداد **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد:

فإن الله تعالى خلق الإنسان وعلّمه البيان، وأودع في هذا الإنسان فطرة وخلقة ونظامًا، بهذه الفطرة يهتدي إلى توحيد رب العالمين، «فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (الروم: ٣٠)، والفطرة واحدة عند جميع البشر، وعليها اتفاق، لكنّ الله تعالى خلق بجوار الفطرة شيئًا يُسمّى الطبع، وهذه الطباع تختلف في البشر جميعًا، فهذا طبعه الهدوء، وذاك طبعه الشدة، وآخر يرضى سريعًا، وغيره غضوب، ومنهم صبور، وهكذا.

وكل هذه الطباع هي محل اختبار الله تعالى للعبد وتعبّده بها، والشرع الشريف جاء حاكمًا في كل هذه الطباع المختلفة، ولذلك قال تعالى: «وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ» (الشورى: ١٠).

ما أقرب الطباع عند الشروع في الزواج

إذا شرع الإنسان في الزواج وخطب امرأة أيًّا كان أهلها وبلدها وجنسيتها وطبعها، فإنك ترى تحت ظل العاطفة والانجذاب حبًّا وقربًا ورضًا وطمأنينة، وكأن الزوجين أصحاب طبع واحد، والحقيقة ليست كذلك، إنما كل منهما يقترب من الآخر، يمضغ له الأحجار، ويلتمس له الأعذار، ويخشى عليه حرّ النّار.

فهذا يستمع للآخر استماعًا جيدًا، ويفكر في كلامه بإتقان، ويُحسن به الظّنّ، ويصدّقه ويؤمّن على كلامه، وإذا انتقده أحد أمامه أو ذكره بسوء دافع هو عنه، وذبَّ عنه التُّهَم، لماذا كل هذا؟ لثبوت الحب بينهما، ذلك الحب البِكْر الذي لم تَشُبْه شائبة، ذلك الحب الذي يبلغ مبلغًا عظيمًا إذا كان الزواج يكتنفه المعاني الخيرية والمقاصد الشرعية، وهو على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً والتزامًا، وهو القليل في مؤونته التماسًا لبركة الرحمن جلّ وعلا، وفيه التيسير وعدم التعسير، وفيه قصد العفة، والبر والإحسان، وهذا الزواج في مثل هذه الحالة يُتوّجه الله جل جلاله، بما نطق به كتابه الكريم: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم: ٢١).

وحتى لو خلت بداية الزواج من هذه المقاصد، وكان مجرد اجتماع ذكر وأنثى، فإن نداء الفطرة بين الجنسين يجعل بينهما قربًا شديدًا أَوّل الأمر، يستمر هذا القرب إذا توافقت الطباع أو على الأقل كانت قريبة من بعضها البعض، وكان أحد الزوجين يتمتع بالحكمة والحلم، وحسن إدارة الأمور، عندها يُرجى لهذا البيت أن يستمر زواجهما، ولا ينفرط عقدهما، ولا ينفسخ عقدهما.

بعد شهر العسل:

نسميه شهر العسل تجاوزًا على ما تعارف

عليه الناس، لكن الحقيقة أن أهل الإسلام في الغالب ينبغي أن تكون حياتهم سهلة يسيرة، الفرح فيها بفضل الله سبحانه كما قال: « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ » (يونس:٥٨)، وما كان لله دام واتصل.

لكن الغريب والعجيب هنا أن الكثير في هذه الأيام لا يهنؤون بهذا الشهر، بل ولا أقل منه، فبمجرد أن جمع بين الزوجين مسكن واحد وصارت العلاقة مباشرة، يظهر الأمر والنهي، والسمع والطاعة والعصيان، والأسئلة والاختبارات والبحث والتحريات، والنبش في ما مضى وفات، وتظهر الطباع والفروق بينهما، فمن الذي يؤلف طبعًا من الطباع على طبع آخر؟ وهنا يبرز دور الشرع الشريف، والتربية الإسلامية، والآداب التي تأدب عليها الزوجان في منزل الأسرة، وفقه الزواج ومقاصده في فهم العروسين.

طباع كلها أوجاع:

١- الزوج الغضوب:

أحيانًا يكون الزوج سريع الغضب شديد الانفعال، ويستسلم لهذه الخصلة السيئة، وفي فكره أنه إذا طلب من زوجته مطلبًا فتأخرت فيه، أو لم تقتنع بفعله، انقلب عليها زوجها انقلابًا شنيعًا بدعوى أنه الزوج وعلى الزوجة طاعة الأمر، وإن لم تفعل فهي طالق، ثم إن الزوج يلتمس لنفسه العذر في الغضب بأنه عصبي وعليها أن تتحمله، وهنا يقال: أنت لم تستطع أن تصبر على ما رأيته لا يعجبك، فكيف تُجبر غيرك أن يصبر عليك؟! خاصة إذا رأت الزوجة أنها تساوي زوجها في مؤهلها وسنّها وأنها تعمل بوظيفة كوظيفته، فما الفرق إذن الذي يجعل نفسًا بشرية تتحكم في نفس مثلها؟ وترى الزوجة أنها كانت معززة مكرمة في بيت أهلها، فإذا بها عند رجل غضوب متحكم، سبّاب لعّان ضرّاب، يسبها ويسب أهلها الذين لم يربوها التربية الصحيحة-من وجهة نظره-، ومن هنا تغضب الزوجة وتهجر البيت وتذهب إلى بيت أهلها، ويستنكف زوجها عن الاتصال بها أو بأهلها، وتزداد الفجوة، وتحكي الزوجة المثالية كل شيء لأهلها!!

علاج طبع الغضب:

ربما يكون الزوج عصبيًا سريع الغضب، وربما كانت زوجته مثله أو تزيد، يقال لأمثال هؤلاء: «لا تغضب». وهذه وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لرجل قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: أوْصني، قال: لا تَغْضَبْ، فرَدَّدَ مرارًا، قال: لا تَغْضَبْ. (البخاري: ٦١١٦).

وفي شرح الحديث قال أهل العلم: إن الغضب وراء كل شر، وكل مصيبة منشؤها الغضب، كما يقال لأمثال هؤلاء أيضًا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصرعة (أي بالتهور والانفعال)، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى رجلاً بألا يغضب، فإن هذا يعني أن مقاومة الغضب ممكنة، والصبر على ما يُغضب أمر يمكن تحمله: لكن المشكلة فيمن ليس عنده استعداد أن يصبر، بل ويستسلم لطبعه المُرّ بدعوى أنه عصبي، في الوقت الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: «ومن يتصبر يصبره الله» صحيح البخاري ١٤٦٩. وقال الله تعالى: « إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (الزمر:١٠). وغير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة التي تبين أن بالصبر تُحَلّ كثير من المشكلات.

٢- الزوج شديد الغيرة:

ومن الطباع ذات الأوجاع طبع الغيرة الزائدة عن الحد، وللزوج أن يغار على زوجته، وهي أيضًا كذلك، والذي لا يغار فهو ديوث، لكن هذه الغيرة لا بد أن تكون محكومة بالشرع، والغيرة الشديدة في غير موضعها تفقد المرأة ثقتها في نفسها وفي زوجها، بعد أن ظهر منه عدم ثقته في زوجته، وما المانع إذا رأى الزوج على زوجته شيئًا يكرهه ويثير الغيرة عنده أن ينصحها بالحب والمودة والحكمة والموعظة الحسنة، فيرغّبها في فعل ما يريد من غير تنفير منه، «إنّ منكم مُنَفِّرين» (صحيح البخاري ٧٠٢).

ولماذا لا يتعامل الزوج مع زوجته كأخته، أو ابنته، أو قريبته؟ إن حكم النفس على النفس

أمر في غاية الصعوبة، والزوجة حينما ترى في زوجها ذلك فإنها تكرهه، وتكره أهله، ولا تحب أن تجاملهم بأي شيء، وتسعى للتخلص من زوجها بالطلاق مهما كان بينهما من أولاد، وعليه فلا يصلح الاستسلام للطبع في الغيرة الشديدة، وينبغي أن يكون الشرع قائدًا ورائدًا لهذه الطباع. فالاستسلام للطبع مخالفة للشرع؛ لأن المرء ينبغي أن يطوع الطباع للشرع وليس العكس، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تبعًا لما جئتُ به». (حديث حسن صحيح). وقال: «إنما الصبر بالتصبر، والحلم بالتحلم» (السلسلة الصحيحة ٣٤٢). وهذا يدعونا إلى تهذيب الطباع على ضوء الشرع، صحيح سيبقى من الطباع في النفس بقية، لكن إذا غلبنا الشرع كان الخير إن شاء الله.

علاج الشرع للطباع الجامحة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤصل في أصحابه الصفات الجميلة ويشجعها ويرسخها، فيقول صلى الله عليه وسلم: «أرحمُ أمّتي بأمّتي: أبو بكر، وأشدُّهُم في أمْر الله: عمرُ، وأصدقُهُم حياءً: عثمانُ، وأقرؤُهُم لكتاب الله: أُبيُّ بْنُ كعب، وأفرضُهُم: زيْدُ بْنُ ثابت، وأعلمُهُم بالحلال والحرام: مُعاذُ بْنُ جبل، ألا وإنَّ لكلِّ أمّة أمينًا، وإنَّ أمينَ هذه الأمّة: أبو عُبيْدَةَ بْنُ الجرّاح». (سنن الترمذي: ٣٧٩١، وقال: حسن صحيح).

وكان يقول صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «يا أشجُّ إنَّ فيك خلّتين يُحبُّهما الله ورسولُه الحلْمُ والأناةُ» (صحيح مسلم ح١٧).

والله تعالى يقول: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ » (البقرة:١٥٣).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «من كظم غيظه، ستر الله عورته». ويقول: «ومن كظم غيظه وإن شاء أن يمضيه أمضاه، ثبت الله قدمه على الصراط يوم تزل الأقدام» (السلسلة الصحيحة ٩٠٦).

والله عز وجل يصف عباده المتقين الوارثين للجنة بقوله سبحانه: « وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ » (آل عمران:١٣٣-١٣٦).

تصحيح مفاهيم:

يرى بعض الرجال أنه بمجرد عقده على امرأته صار الآمر الناهي الذي يأمر فيُطاع، ويقول فلا يُردّ قوله، وإلا كان الشقاق أو الطلاق، والمعاملة بسوء الأخلاق، ونسي مثل هذا الزوج أن الزواج مودة ورحمة، ومعاملة باللطف والحكمة، وأن زوجته لن تستقيم له بالعنف والقوة، والفظاظة والقسوة، فهي شرعًا كيان مثله بعضهم من بعض، ولها إحساس وشعور، ومن وجهة نظرها فهي مؤهلة دنيويًا كمؤهل زوجها وربما أكبر من مؤهله، وهي شريكة له في الحياة، فلماذا كل هذا الجفاء؟ والله تعالى يقول: « وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » (البقرة:٢٢٨).

ثانيا: نتائج العنف والقسوة دائمًا الفشل الذريع، ذلك أن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ولا على ما سواه.

ثالثا: تبادر كثيرات من النساء بمواجهة الأزواج بكلمة صاخبة مزعجة: فتقول له: خدمة أمك ليست فرضًا عليّ. وبعيدًا عن الفرض والنفل في هذا الشأن، فمثل هذه الزوجة لا حكمة عندها ولا لباقة في سياق المفاهيم والألفاظ، مما يثير حفيظة الزوج ويهيجه على زوجته، وكم من الزيجات فُسخت وبيوت خُرّبت بسبب تلك الجفاوة في سياق هذه المفاهيم.

إن التربية على مبادئ الشرع الشريف، واتباع الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وفهم مقاصد الحياة الزوجية لهي الضمان الوحيد لحياة سعيدة خالية من الجهل والعنف.

فاعتبروا يا أولي الأبصار، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٣٣٣)

قصة الوصية المفتراة على النبي صلى الله عليه وسلم في تيسير الولادة

إعداد علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، وانتشرت في كثير من الكتب التي تُصنَّف في الأذكار، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في كتب السنة الأصلية: ونُذكِّر القارئ الكريم أن كتب السُّنة الأصلية هي الكتب التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذها الذين صنفوا في الأذكار فأوردوها في كتب الأذكار، واكتفوا بعزوها إلى أصحاب كتب السنة الأصلية، فيتوهم من لا دراية لهم بالتخريج والتحقيق من هذا العزو أنها صحيحة.

٢- وعندما يقومون بقراءة مثل هذه الأذكار، ولا يتحقق الفائدة كما في هذه القصة، التي بها الوصية لقراءة آيات من القرآن الكريم؛ فإذا قرئت على امرأة في وقت الولادة تيسرت الولادة، وفي حالة تعسرت فيها الولادة وأخذوا في قراءة الآيات الموجودة في هذه الوصية، ويكرِّرونها بلا فائدة وقد تتعسر الأمور ولا يخرج الجنين إلا بعملية جراحية.

٣- مما يجعل البعض يتساءل: أليست هذه الوصية بقراءة هذه الآيات في كتب «الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار» للإمام النووي، أليست هذه الوصية في كتاب «الكلم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية؟

وللإجابة على هذا التساؤل، لا بد من الوقوف على حقيقة هذه الوصية؛ حتى لا يقع من قرأها في حيرة من أمره عندما لا يتحقق الغرض الذي من أجله قرأها.

ولكي نقف على حقيقة هذه الوصية لا بد من التخريج والتحقيق:

ثانيا: المتن:

رُويَ عن فاطمة رضي الله عنها: «أنَّ رسولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، لَمّا دَنا وَلادها أمر أمّ سُليم، وزينبَ بنتَ جحش، أن تأتيا فتقرآ عندها آية الكرسيِّ، و«إنَّ ربَّكُمُ اللَّهُ الَّذي خَلقَ السَّماواتِ والأَرضَ...»

إلى آخر الآية (الأعراف: ٥٤)، ويعوذها بالمعوذتين».

ثالثًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة:

أخرجه الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السني المتوفى سنة ٣٦٤هـ في كتابه «عمل اليوم والليلة» (ح٦٢٠) قال: حدثني علي بن محمد بن عامر، حدثنا عبد الله بن محمد بن خنيس عيسى بن إبراهيم القرشي عن موسى بن أبي حبيب قال: سمعت علي بن الحسين، يحدث عن أبيه عن أمه فاطمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا ولادها...» القصة.

رابعًا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: موسى بن محمد بن عطاء:

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٦١/١/٤): «موسى بن محمد بن عطاء أبو طاهر المقدسي سألت أبي عنه فقال: كان يكذب ويأتي بالأباطيل».

ثم قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم: سمعت موسى بن سهل الرملي يقول: «أشهد عليه أنه كان يكذب». اهـ.

ثم قال: «سئل أبو زرعة عن أبي طاهر المقدسي موسى بن محمد بن عطاء، فقال: كان يكذب». اهـ.

٢- وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٢/٢): موسى بن محمد أبو طاهر الدمياطي البلقاوي سكن ناحية من الشام يقال لها البلقاء يضع الحديث على الثقات، ويروي ما لا أصل له عن الأثبات، لا تحل الرواية عنه، ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار للخواص». اهـ.

٣- وقال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٤٧/٦) (١٨٢٩/٢٠٨): «موسى بن محمد بن عطاء أبو طاهر المقدسي منكر الحديث ويسرق الحديث». اهـ. ثم ختم ترجمته بالبرهان على سرقته.

٤- وقال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٧٤٣/١٦٩/٤): «موسى بن محمد بن عطاء بن الجملي البلقاوي يحدث عن الثقات بالبواطيل والموضوعات».

فائدة: ولقد ختم الحافظ العقيلي ترجمة موسى بن محمد بن عطاء بحديثين برهن فيهما على أنه يحدث عن الثقات بالبواطيل والموضوعات، فبعد أن أخرجها الحافظ العقيلي قال: «ليس لهما أصل من وجه يصح». اهـ.

وإن تعجب فعجب أن الحديث الأول: قال فيه موسى بن محمد بن عطاء: «حدثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة».

أما الحديث الثاني: قال فيه موسى بن محمد بن عطاء حدثنا: «مالك عن نافع عن ابن عمر».

ولكي يتبين مدى افتراء هذا الكذاب فقد أخرج الحاكم في «معرفة علوم الحديث» النوع (١٨) قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال: حدثنا محمد بن سليمان قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر.

وأصح أسانيد أبي هريرة: أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة». اهـ.

قلت: انظر لهذا الكذاب كيف يحدث عن الثقات بالبواطيل والموضوعات.

ولذلك قال الحافظ ابن حبان- كما بينا آنفًا-: «يضع الحديث على الثقات ويروي ما لا أصل له عن الأثبات». اهـ. ولذلك طبق هذا الحافظ العقيلي في حديثين، ثم قال: وليس لهما أصل من وجه يصح». اهـ.

حيث افترى هذا الكذاب على الإمام مالك، وحدث عنه بالبواطيل والموضوعات.

وهذا من دقيق فقه دراسة الأسانيد في الصناعة الحديثية: فلا يغرنك حديث جاء من طريق أصح الأسانيد، ولكن يبحث عمن حدث به لئلا يكون ممن يحدث عن الثقات

بالبواطيل والموضوعات كما بينا في موسى بن محمد بن عطاء أبي طاهر المقدسي.

٥- أورده الإمام الحافظ الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٥٢٤) وقال: «موسى بن محمد بن عطاء المقدسي أبو طاهر عن مالك والموقري». اهـ.

فائدة: لم يُذكر غير اسم الراوي واسم أبيه وجده وكنيته فيتوهم من لا دراية له بمنهج الدارقطني في هذا الكتاب أنه لم يذكر فيه جرحًا وسكت عنه، ولكن هيهات فقد بيّن الإمام البرقاني هذا المنهج في المقدمة فقال: «طالت محاورتي مع أبي منصور إبراهيم بن الحسين بن حمكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيْننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

قلت: وبالبحث وجدنا أن موسى بن محمد بن عطاء المقدسي أبا طاهر قد أثبت في كتاب «الضعفاء والمتروكين» برقم (٥٢٤)، وعليه فيكون قد تقرر أن الأئمة البرقاني وابن حمكان والدارقطني قد أجمعوا على تركه.

الاستنتاج:

نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن موسى بن محمد بن عطاء أبا طاهر كان يكذب، ويأتي بالأباطيل، متروك، منكر الحديث ويسرق الحديث، يضع الحديث على الثقات، ويروي ما لا أصل له عن الأثبات لا تحل الرواية عنه، ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار للخواص». اهـ.

قلت: وقول الإمام الحافظ ابن حبان: «لا تحل الرواية عنه ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار للخواص». اهـ. لأن الخواص ممن الحديث صناعتهم هم الذين بالبحث يقفون على علة مثل هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة، ويقفون على حقيقة الراوي وتحليل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه حتى يصلوا إلى مثل هذه النتيجة المبينة في الاستنتاج.

وبهذا الاستنتاج المذكور آنفًا يحكم على الحديث الذي جاءت به القصة أنه «موضوع»، وحتى يقف القارئ الكريم على حدّ هذا المصطلح.

قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

قلت: إن لم يوجد في هذا الخبر إلا هذه العلة فهي كافية لجعل هذا الخبر من الأحاديث الموضوعة التي هي من الكذب والأباطيل التي يحدث بها موسى بن محمد بن عطاء المقدسي أبو طاهر.

ولكن هناك علل أخرى تزيد هذا الخبر وهنًا على وهن.

العلة الثانية: عيسى بن إبراهيم القرشي.

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٥٤٦/٣٠٨/٣): «عيسى بن إبراهيم بن طهمان الهاشمي عن عمه موسى بن أبي حبيب وجماعة، وعنه بقية وغيره.

ثم أورد أربعة أحاديث من منكراته من طريق بقية عن عيسى بن إبراهيم القرشي عن عمه موسى بن أبي حبيب، وذكر أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه: قال البخاري والنسائي: «منكر الحديث»، وقال يحيى: «ليس بشيء». وقال أبو حاتم: «متروك الحديث». وقال النسائي أيضًا: «متروك». اهـ.

تخريج أقوال أئمة الجرح والتعديل التي نقلها الإمام الذهبي في عيسى بن إبراهيم الهاشمي:

١- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٦٩): «عيسى بن إبراهيم الهاشمي: منكر الحديث». اهـ.

تنبيه: يجب أن ينتبه إليه الباحث في مثل هذا المصطلح «منكر الحديث».

لذلك قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): قول البخاري: «منكر الحديث» فانه يريد به الكذابين. ففي الميزان للذهبي (٥/١) نقل ابن

القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه منكر الحديث لا تحل الرواية عنه».

٢- وقال الإمام النسائي في «المتروكين» (٤٢٥): «عيسى بن إبراهيم الهاشمي: منكر الحديث». اهـ.

٣-وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٧١/١/٣): «حدثنا عباس بن محمد الدروي قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عيسى بن إبراهيم الذي يروي عنه بقية ليس بشيء». ثم قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عيسى بن إبراهيم، فقال: «متروك الحديث». اهـ.

وبهذه العلة: يتبين أن عيسى بن إبراهيم الهاشمي: ليس بشيء متروك الحديث منكر الحديث، وبهذا يزاد الخبر وهنًا على وهن.

العلة الثالثة: بقية بن الوليد:

١- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٧٢/٢) (٣٠٢/٥٩): «حدثني عبد المؤمن بن أحمد بن حورزة، حدثنا أبو حاتم الرازي قال: سألت أبا مسهر عن حديث لبقية؟ فقال: أحرزْ أحاديث بقية، وكن منها على تقية فإنها غير نقية». اهـ.

ثم قال: سمعت الحسين بن عبد الله القطان، سمعت أبا التقي هشام بن عبد الملك يقول: من قال: إن بقية قال حدثنا فقد كذب، ما قال بقية قط إلا حدثني فلان». اهـ.

ثم ذكر له ترجمة في أكثر من مائتين وعشرين سطرًا ثم ختمها بخلاصة قال فيها:

«قد تقدم ذكرى في ذلك أن صفته في روايات الحديث كإسماعيل بن عياش إذا روى عن الشاميين فهو ثبت، وإذا روى عن المجهولين فالعهدة منهم لا منه، وإذا روى عن غير الشاميين فربما وهم عليهم، وربما كان الوهم من الراوي عنه». اهـ.

وهذه القاعدة: أوردها الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٦٢٠/٢): «من حدث عن أهل مصر أو إقليم فحفظ حديثهم، وحدَّث عن غيرهم فلم يحفظ: فمنهم إسماعيل بن عياش الحمصي إذا حدث عن الشاميين فحديثه عنهم جيد، وإذا حدث عن غيرهم فحديثه مضطرب...».

ومنهم بقية بن الوليد الحمصي وهو مع كثرة رواياته عن المجهولين الغرائب والمناكير فإنه إذا حدث عن الثقات المعروفين ولم يدلس فإنما يكون حديثه جيدًا عن أهل الشام، وأما رواياته عن أهل الحجاز وأهل العراق فكثيرة المخالفة لروايات الثقات كما ذكره ابن عدي وغيره». اهـ.

قلت: وبتطبيق هذه القاعدة على هذا الخبر نجد أن بقية روى هذا الخبر عن غير الشاميين حيث رواه عن عيسى بن إبراهيم القرشي وهو ليس بشيء منكر الحديث متروك الحديث فروايته مردودة ويزداد الحديث وهنًا على وهن.

العلة الرابعة: موسى بن أبي حبيب:

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٨٥٦/٢٠٢/٤): «موسى بن أبي حبيب، عن علي بن الحسين ضعفه أبو حاتم، وخبره ساقط». اهـ.

الاستنتاج:

بهذه العلل الأربعة يصبح هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة من الأباطيل والكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

خامسًا: الرد على من أورد هذا الخبر في كتب الأذكار:

١- أورد هذا الخبر الإمام النووي رحمه الله في كتاب «الأذكار» (ص٢٥٣) وقال: «وروينا في كتاب ابن السني عن فاطمة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا ولادها...» الحديث دون أن يشير إلى ضعفه مع أنه باطل موضوع لا تحل روايته كما بينا آنفًا.

٢- ثم جاء الإمام ابن تيمية رحمه الله من بعد النووي فأورده في «الكلم الطيب» (ح٢٠٩) بصيغة التمريض فقال: «يُذكر أن فاطمة رضي الله عنها...» الحديث مع أن الحديث باطل موضوع لا تحل روايته.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

أدلة القرآن على إثبات صفتي (النداء) و(الكلام) لله تعالى بالصوت والحرف على الحقيقة، وعلى الوجه الذي يليق بجلاله.. ودحض ما اعتقده الأشاعرة حيالهما بتأويلهما وقصرهما على (الكلام النفسي)

الحلقة (٦١)

أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فلقد أدى كثرة ما أثير منذ أمد بعيد من لغط تجاه إثبات صفة (الكلام) لله تعالى، إلى أن يُعمل أئمة السنة عقولهم في فهم نصوص القرآن، وذلك بغرض استنباط ما يجب اعتقاده من حمل هذه الصفة على حقيقتها، انتصاراً للمذهب الحق الذي كان عليه القرون الخيرة.. ولردِّ عادية من تكلفوا في فهمها فحرفوا الكلم عن مواضعه وتأولوها تارة، وأنكروها بالكلية تارة، وقصروها على الكلام النفسي تارة، وصرفوا ظاهرها إلى أنواعِ من المجازات تارة.. فكان من أدلة أهل الحق على صحة معتقدهم وفساد معتقدات مخالفيهم.

أ- ما جاء في مخاطبة الله لملائكته وبعض أنبيائه: آدم، وموسى، وعيسى:

١-قولَه تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة..) (البقرة/٣٠)، وقوله: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين. وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين..) (البقرة/٣٤، ٣٥).

٢- وقوله تعالى بعد ندمهما على الأكل من الشجرة: (فتلقى آدم من ربه كلمات..) (البقرة/٣٧)، وقد جاء التصريح بهذه الكلمات في قوله تعالى: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين..) (الأعراف/٢٣)، وعن قتادة وأبي العالية قولهما عن الكلمات: "إن آدم لما أصاب قال: (أرأيتُ إن تبتُ يا رب وأصلحتُ؟)، قال الله: (إذاً أدخلك الجنة)، فهي الكلمات، وأما إبليس فلم يسأله التوبة وسأله النَظرة، فأعطي كل واحد منهما الذي سأله"، والآيات نص في محل الاستدلال، فقد أخرج البخاري في (خلق أفعال العباد) ص ٢٤ عن أبي ذر قوله: قلت يا رسول الله من أول الأنبياء؟:

قال: (آدم). قلت: إنه لنبي؟. قال: (نعم: مكلَّم). يعني: كلمه الله.

٣- قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليماً..) (النساء/١٦٤) كذا بإسناد الكلام إليه وتأكيده بالمصدر الذي يزيل المجاز ويوجب الحقيقة. وللبيهقي في معنى ما ذكر، قوله في (الأسماء والصفات) ص٢٦٩: "فوصف نفسه بالتكليم وأكده بالتكرار"، ومن ثم "لا يجوز - على حد قوله في (الاعتقاد) ص٧٦ - أن يكون كلام المتكلم قائماً بغيره، ثم يكون هو متكلماً مكلماً دون ذلك الغير، كما لا يجوز ذلك في العلم، والسمع، والبصر"، وأيضاً "لو كان كلام الله لموسى مخلوقاً في شجرة كما زعم الأشاعرة - بقولهم: "إن كلامه تعالى يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه الله في غيره" - للزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام مُتكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقات كلم موسى وقال له: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني..) (طه/١٤)، وهذا ظاهر الفساد".

يقول الإمام أحمد: "تكليماً مصدر (تكلم يتكلم، فهو متكلم)، وذلك يفسد الحكاية، ولم يُنقل عن أحد من المتقدمين من أصحاب رسول الله والتابعين القول بـ (الحكاية) و(العبارة)، فدل على أن ذلك من البدع المحدثة"، يؤيد ما سبق: ذكره تعالى في غير ما آية، ما كلم به موسى وأوحى به إليه.

وفيما عنون له البخاري بـ: باب ما جاء في قول الله تعالى: (وكلم الله موسى تكليماً..) (النساء/١٦٤)، ساق ابن حجر في الفتح ٤٨٧/١٣ قول الأئمة: "هذه الآية أقوى ما ورد في الرد على المعتزلة - وأقول: وعلى الأشاعرة أيضاً كونهم لا يقرون بصفة الكلام لله على حقيقتها ويكتفون منها بالجانب النفسي - قال النحاس: أجمع النحويون على أن الفعل إذا أُكد بالمصدر لم يكن مجازاً، فإذا قال: (تكليماً)، وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة التي تُعقل، وأجاب بعضهم بأنه كلام على الحقيقة، كون التأكيد: رفع المجاز عن كونه غير كلام، لكن محل الخلاف: هل سمعه موسى من الله تعالى حقيقة أم من الشجرة؟، ورُدَّ بأنه لابد من مراعاة المحدَّث عنه، فهو لرفع المجاز عن النسبة، لأنه قد نسب الكلام فيها إلى الله، فهو المتكلم حقيقة لا الشجرة، ويؤكده قوله تعالى: (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي..) (الأعراف/١٤٤)، وأجمع السلف والخلف من أهل السنة وغيرهم، أن (كلم) هنا: من الكلام".

ثم نَقل عن ابن التين قوله: "اختلف المتكلمون في سماع كلام الله، فقال الأشعري: (كلام الله القائم بذاته يُسمع عند تلاوة كل تالٍ وقراءة كل قارئ)، وقال الباقلاني: (إنما تُسمعُ التلاوة دون المتلو والقراءة دون المقروء)"، وقد أورد البخاري في (خلق أفعال العباد) أن خالداً القسري قال: (إني مضح بالجعد بن درهم، فإنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً).. وكان ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك..

وقد سبق أن أوضحنا أن سَلْم بن أحوز -وكان على شرطة خراسان- قتل جهم بن صفوان (سنة ١٢٨هـ)، لأنه أنكر -هو الآخر- أن الله كلم موسى تكليماً.

وعليه فمن أنكر كلام الله لكليمه موسى عليه السلام، فقد جعل سلفه في ذلك الجعد وجهم، وكذّب القرآن وردّ نصه، وصرّح باستتابته لأجل ذلك: أئمة السلف من نحو ابن مهدي والآجري وغيرهما ممن سيأتي نصوص كلامهم.

٤- وقوله تعالى: (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي..) (الأعراف/١٤٤)، وقد أورده ابن حجر -في الفتح ٤٩١/١٣ - تبعاً للبخاري الذي أخرج في الباب السالف الذكر رواية شريك في حديث الإسراء، وفيها: (وموسى في السابعة بفضل كلامه لله).. وفي رواية أبي ذر: (بتفضيل كلام الله) وهي رواية الأكثر، وهي مراد الترجمة والمطابق لقوله: (أني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي).

٥- على أن ما جاء بالآية، يأتي ضمن جملة ما حدّث الله به موسى عليه السلام.. ونظيره:

ما جاء في قوله له: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني..) (الأعراف/١٤٣)، وقوله: (يا موسى. إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى. وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى. إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)، إلى قوله: (إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى..) (طه/١١: ٤٨)، يقول البيهقي في الأسماء ص٢٦٩ معلقاً: "فهذا كلامٌ سمعه موسى بإسماع الحق إياه بلا ترجمان بينه وبينه، دلّه به على ربوبيته، ودعاه إلى وحدانيته، وأمره بعبادته وإقامة الصلاة لذكره، وأخبر أنه اصطنعه لنفسه واصطفاه برسالته وبكلامه، وأنه مبعوث إلى الخلق بأمره".

٦- أن كل ما في القرآن من ذكر كلامه تعالى وتكليمه وأمره ونهيه دال على أنه تكلّم حقيقة لا مجازاً، وكذلك نصوص الوحي الخاص من نحو قوله تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده..) (النساء/١٦٣).. وقد نوّع الله تعالى هذه الصفة في إطلاقها عليه تنويعاً يستحيل معه نفي حقائقها، إذ ليس في الصفات الإلهية أظهر من صفة (الكلام والعلو والفعل والقدرة)، بل إن حقيقة الإرسال: (تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى)، وإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة، والرب يخلق بقوله وكلامه، فإذا انتفت حقيقة الكلام انتفى الخلق، كذا في مختصر الصواعق ص٥٠٨.

٧- وإن مما دل على مخاطبة الله لعيسى عليه السلام يوم القيامة بكلام حقيقي بصوت وحرف يليق بجلال الله: ما يدور بينهما من خطاب فيه أخذ ورد، وفيه تبرئة عيسى نفسه ممن نسب إليه؛ وذلك قوله تعالى: (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق).. إلى أن قال: (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم..) (المائدة/١١٦، ١١٧).

ب- ما جاء في تخليق السماوات والأرض وسواهما:

٨- ويدل على كلامه أيضاً ما عنون له البخاري تحت (باب: ما جاء في تخليق السماوات والأرض) مشيراً إلى قوله تعالى: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب..) (آل عمران/١٩٠)، ونصُّه -رحمه الله- على أن (تخليقهما وغيرهما من الخلائق، هو فعل الرب وأمره، فالرب بصفاته وفعله وأمره - وهو الخالق المكوّن -: غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وكلامه وتخليقه وتكوينه، فهو مفعول مخلوق مُكوَّن).. وانما كان غرضه منه - كما ذكر ابن بطال فيما نقله عنه ابن حجر في الفتح ١٣/٤٤٩ -:

"بيان أن جميع السماوات والأرض وما بينهما: مخلوق، لقيام دلائل الحدوث عليها، ولقيام البرهان على أنه لا خالق غير الله، وبطلان قول من يقول: (إن الطبائع خالقة، أو الأفلاك أو النور أو الظلمة)، فلما فسدت جميع هذه المقالات لقيام الدليل على حدوث ذلك كله وافتقاره إلى مُحدث لاستحالة وجود محدث لا محدث له - وكتاب الله شاهد بذلك كآية الباب -: استُدل بآيات السماوات والأرض على وحدانيته تعالى وقدرته، وأنه الخلّاق العظيم، وخلاق سائر المخلوقات، لانتفاء الحوادث عنه الدالة على حدوث من يقوم به، وأن ذاته وصفاته غير مخلوقة، وعلى أن القرآن صفة له فهو غير مخلوق، ولزم من ذلك أن كل ما سواه كان عن أمره وفعله وتكوينه، وكل ذلك مخلوق له" يعني، بقوله: (كن).

٩- وقوله: (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض).. (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر..) (الأعراف/٥٤)، حيث أخبر بأن الخلق صار مكوّناً مسخراً بأمره، وقد احتج به سفيان بن عيينة وغيره "على أن القرآن غير مخلوق، لأن المراد بالأمر: قوله تعالى (كن) وقد

عُطف على الخلق، والعطف يقتضي المغايرة، و(كن) من كلامه فصحَ الاستدلال".. ذلك أنه سبحانه – وعلى حد قول ابن خزيمة – "لما أعلم عباده المؤمنين أنه يكوِّن الشيء بقوله (كن)، أوضح أن القول الذي هو (كن) غير المكوَّن المقول له (كن)".. كما أنه – على حد قول البيهقي – "إنما أراد به كلاماً يخلق به الخلق، أو إرادة يقضي بها بينهم ويدبر أمرهم"، وأن "(الخلق) هو: المخلوقات، و(الأمر) هو: الكلام، كذا ذكره ابن عيينة، قال: (الأمر كلامه، فلو كان كلامه مخلوقاً لم يفرِّق بينهما).

قال البخاري في كتاب (خلق أفعال العباد): خلق الله الخلق بأمره لقوله تعالى: (لله الأمر من قبل ومن بعد..) (الروم/٤)، ولقوله: (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره..) (الروم/٢٥)، قال: (وتواترت الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم أن القرآن: كلام الله، وأن أمر الله: قبل مخلوقاته)، قال: (ولم يُذكر عن أحد من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان خلاف ذلك، وهم الذين أدوا إلينا الكتاب والسنة قرناً بعد قرن، ولم يكن بين أحد من أهل العلم في ذلك خلاف إلى زمان مالك والثوري وحماد وفقهاء الأمصار، ومضى على ذلك من أدركنا من علماء الحرمين والعراق والشام ومصر وخراسان)، وقال ابن يحيى المكي في مناظرته للمريسي بعد أن تلا الآية المذكورة: (أخبر الله تعالى عن الخلق أنه مسخر بأمره، فالأمر هو الذي كان الخلق مسخراً به، فكيف يكون الأمر مخلوقاً، وقد قال تعالى: «لله الأمر من قبل ومن بعد..) (الروم/٤) –أي: من قبل خلق الخلق ومن بعد خلقهم وموتهم – فبدأهم بأمره ويعيدهم بأمره)؟!".

١٠- وقوله: (والله خلقكم وما تعملون..) (الصافات/٩٦)، (إنا كل شيء خلقناه بقدر..) (القمر/٤٩)، فقد "ذكر المهلب – فيما نقله عنه ابن حجر في الفتح – أن غرض البخاري بهذه الترجمة: إثبات أن أفعال العباد وأقوالهم مخلوقة لله تعالى، وفرق بين الأمر بقوله (كن) وبين الخلق.. قال الكرماني في تقدير آية القمر: خلقنا كل شيء بقدر، فيستفاد منه أن يكون الله خالق كل شيء كما صرح به في آية الصافات التي الأمر فيها ظاهر في إثبات نسبة العمل إلى العباد، لأن العمل هنا، هو: (الكسب) الذي يكون مسنداً إلى العبد حيث أثبت له صُنعاً وعليه يقع المدح والذم، ويسند إلى الله من حيث إن وجوده إنما هو بتأثير قدرته ويقال له: (الخلق)، قال مكي بن أبي طالب في ردِّ ما فاه به المعتزلة: أئمة "أهل السنة على: أن القرآن نزل بلغة العرب؛ وأئمة العربية على: أن الفعل الوارد بعد (ما) يتأول بالمصدر، نحو: (أعجبني ما صنعت) أي: صُنعك، وعليه فمعنى الآية: خلقكم وخلق أعمالكم، ذلك أنه إذا كان الله خالق أعمالهم التي تتوهم القدرية أنهم خالقون لها، فأولى أن يكون خالقاً لما لم يدَّع فيه أحد الخلقية، وهي: الأصنام، قال البيهقي في كتاب (الاعتقاد): قال تعالى (ذلكم الله ربكم خالق كل شيء..) (غافر/٦٢)، فدخل فيه الأعيان والأفعال من الخير والشر، وقال: (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء..) (الرعد/١٦)، فنفى أن يكون خالقٌ غيره، ونفى أن يكون شيء سواه غير مخلوق.

وكان بعض المبتدعة قد احتجوا بقوله تعالى: (الله خالق كل شيء..) (الزمر/٦٢) على أن القرآن مخلوق لأنه شيء، وهو لازم قول الأشاعرة!؛ وتعقَّب ذلك نعيم بن حماد وغيره من أهل الحديث بأن القرآن كلام الله وهو صفته، فكما أن الله لم يدخل في عموم قوله: (كل شيء) اتفاقاً فكذلك صفاته، ونظير ذلك قوله تعالى: (ويحذركم الله نفسه..) (آل عمران/٢٨، ٣٠) مع قوله: (كل نفس ذائقة الموت..) (الأنبياء/٣٥)، فكما لم تدخل نفس الله في هذا العموم اتفاقاً، فكذا لا يدخل القرآن" ا.هـ. من فتح الباري ١٣/ ٥٣٧: ٥٤٢ بتصرف..

والى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.

محبة النبي صلى الله عليه وسلم طاعة واتباع

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فإن آية الإيمان، وبرهان صدق الإسلام: حبّ الرسول الأعظم سيد الأنام: سيدنا محمد ابن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». متفق عليه، ولما قال فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك». فقال له عمر رضي الله عنه: فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر». (البخاري: ٦٦٣٢).

من أراد أن يتذوق حلاوة الإيمان فعليه بحبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجدَ طَعْمَ الإِيمَانِ». وذكر صلى الله عليه وسلم: «أن يكون اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا». متفق عليه.

وحذر ربنا سبحانه وتعالى الذين يحبون الآباء والأبناء والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة أكثر من حبهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: « قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ » (التوبة: ٢٤).

وأوجب الله تعالى على كل من حُكمَ عليه بحكم النبي صلى الله عليه وسلم، ألا يكون في نفسه حرج أو ضيق، بل يسلّم لحكمه ويرضى، فقال سبحانه: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا » (النساء: ٦٥)، وحذر سبحانه من مخالفة

أمره صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور: ٦٣).

وقال سبحانه: «وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا» (النساء: ١١٥)، وأخبر سبحانه وتعالى أن أهل النار إذا دخلوها يتمنون أنهم أطاعوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فقال تعالى: «يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠» (الأحزاب: ٦٦).

وقال تعالى: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا» (النساء: ٤١، ٤٢)، وفي المقابل جعل الله تعالى في طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم السعادة في الدارين، فقال سبحانه: «وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (الأعراف: ١٥٨)، وقال تعالى: «وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ» (الأعراف: ١٥٦، ١٥٧)، وقال تعالى: «فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ١٥٧)، وجعل الله تعالى أمارة حبّه اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» (آل عمران: ٣١).

قال الحسنُ البصري وغيره: «زعم قومٌ أنهم يحبون الله فابتلاهم -أي: امتحنهم- بهذه الآية: «قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»».

وكيف لا؟ وهو صلى الله عليه وسلم منّةٌ لله للعالمين، قال الله تعالى: «لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ» (آل عمران: ١٦٤)، وهو الرحمة المسداة، قال الله تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ» (الأنبياء: ١٠٧)، وهو صلى الله عليه وسلم حريص على أمته، قال صلى الله عليه وسلم: «لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا» (مسلم: ١/١٨٩).

إذن فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ونؤمن إيمانًا راسخًا أنَّ الدعوة التي نزل بها القرآن الكريم، وأرسل من أجلها الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن مجرد كلمات تُرقق بها القلوب وتحذّر النفوس، وإنما هي باعث حضارة متكاملة، تؤدّى فيها الواجبات، وتُصان جميع الحقوق دون تهاون أو تقصير، غير أن بعض الناس تختلف في هذه المحبة، فمن الناس من يرى المحبة في الانتساب والشكل والصورة، ومن الناس من يرى المحبة في همهمات يهمهم بها وترتيلات وأناشيد ينشدها، وصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم يحصي عددها، والعاقل الحصيف من يتجه في كل مذهب يتجه إليه، وفي كل مسلك يسير فيه يتجه نحو المعين الصافي يشرب منه فيرتوي، ويقصد مصدر للنور ليقتبس من إشعاعه فيهتدي.

وما المعين الصافي والنور الوضاء، غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، الذين قال عنهما رسول الهدى صلى الله عليه وسلم: «تَرَكْتُ فيكُمْ أمْرَيْنِ لَنْ تَضلُّوا ما إنْ تَمَسَّكْتُمْ بهِما: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ». (صحيح الجامع: ٢٩٣٧).

فمعيار محبته صلى الله عليه وسلم أن يجعل المسلم هواه تبعًا لما جاء به صلوات الله وسلامه عليه، ولو كان ذلك مصادمة لشهواته، أو

مصادرة لعادات قومه، وإذًا فمجرد الادعاءات لمحبته صلى الله عليه وسلم والشكليات في كل ذلك لا يكفي لإعطاء الصورة الصحيحة لمحبة رسول الهدى صلى الله عليه وسلم حتى يضاف إليه: والعمل والاتباع لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يكون في النفس من ذلك شيء، ودون أن يأخذ المسلم ببعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويطيعه فيه، ويترك البعض الآخر إن كان على غير مزاجه، أو مخالفًا لما درج عليه أهل زمانه، فقد قال الله تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ» (الحشر: ٧)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». (البخاري: ٧٢٨٠).

وفي ذلك أوضح الأدلة على من اطرح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره فقد عصاه، ومن عصاه عرَّض نفسه للخسران.

فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره والتمسك بسنته هو شاهدُ صدق العبد في محبته، وكلما عظم الحب زاد الاتباع، وكلما نقص الحب نقص الاتباع.

فكل من يرجو الله واليوم الآخر، يجعل الرسول عليه الصلاة والسلام قدوته، وأسوته، كما قال الله جل جلاله: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: ٢١)، وأهلُ الإيمان الحق يستمدون من الهدي النبوي كل أمورهم، فلا تستوي الأمور، وتستقيم السبل إلا بذلك، فبهديه عليه الصلاة والسلام يهتدون، وعلى ضوء سُنته يسيرون، قال الله تعالى: «وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (الأعراف: ١٥٨)، وقد ضَرب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن سار على دربهم من التابعين أروع الأمثلة في محبة النبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه والتأسي، فعملوا بسنته، ودعوا إليها، وذبُّوا عنها، فكان هذا برهانًا ساطعًا على حبهم لله عز وجل.

فهذا صدِّيق الأمة رضي الله عنه يقول: «لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ». متفق عليه.

وعَلَّق ابن بطة على هذا بقوله: «هذا الصِّدِّيق الأكبر يتخوَّف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه: فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بسنة نبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته، نسأل الله عصمةً من الزلل، ونجاةً من سوء العمل». (١/ ٢٥٥).

وهذا فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد أن يُقبِّل الحجر الأسود قال: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ». متفق عليه.

توحيدٌ واتباع لسيد الأنام:

عن مجاهد قال: كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما، فمر بمكان فحاد عنه- يعني: تنحى عنه- وأخذ يمينًا شمالًا، فسُئلَ لم فعلت؟ فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلت». (صحيح الترغيب: ٤٦).

وعن عمر رضي الله عنهما «أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة، فيقيل تحتها، ويخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعلُ ذلك». (صحيح الترغيب: ٤٧).

وأعجب من ذلك ما جاء عن ابن سيرين، قال: «كنت مع ابن عمر بعرفات فلما كان حين راح معه حتى الإمام فصلى معه الأولى والعصر- معنى الأولى: الظهر- ثم وقف وأنا وأصحاب لي حتى أفاض الإمام فأفضنا معه، حتى

انتهينا إلى المضيق دون المأزمين، فأناخ وأنخنا ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي، فقال غلامه الذي يمسك راحلته: إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته، فهو يحب أن يقضي حاجته». (صحيح الترغيب: ٤٨).

الله أكبر، هذا هو الحب الصادق، والتأسي النافع.

وهذا الرجل الذي كانت تستحي منه الملائكة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: قعد على المقاعد-يعني مقاعد الوضوء- فتوضأ، ثم دعا بطعام ما مسته النارُ فأكل منه، ثم قام إلى الصلاة فصلى، ثم قال رضي الله عنه: «قعَدْتُ مَقعَدَ رَسُولِ اللَّه صَلى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَمَ، وَأكَلْتُ طعَامَ رَسُولِ اللَّه صَلى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَم، وَصَليْتُ صَلاةَ رَسُولِ اللَّه صَلى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَم». (رواه أحمد: ١/٧٠).

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في القيام: «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا، وقعد فقعدنا». (مسلم: ٩٦٢).

يعني أن الأمر بالقيام للجنازة عند مرورها منسوخ، وقد قمنا حين قام، وقعدنا لما قعد، هذا هو الحب الصادق.

قال يَزِيدُ بنُ أبي عُبيد: كُنْتُ آتي مَعَ سَلَمَةَ بْنِ الأكْوَعِ فَيُصَلِّي عنْدَ الأُسْطُوانَةِ الَّتِي عنْدَ المُصْحَفِ، فقُلْتُ: يَا أبَا مُسْلِمٍ أرَاكَ تَتَحَرَّى الصَّلاةَ عِنْدَ هَذِهِ الأُسْطُوانَةِ؟ قَالَ: فَإنِّي رَأيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى الصَّلاةَ عِنْدَهَا». متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر: «والأسطوانة المذكورة حقق لنا بعض مشايخنا أنها المتوسطة في الروضة المكرمة، وأنها تعرف بأسطوانة المهاجرين». (فتح الباري: ١/٥٧٧).

عَنْ أبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى المِنْبَرِ، أذَّنَ المُؤَذِّنُ قالَ: اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، قالَ مُعَاوِيَةُ: اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، قالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللَّهُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: وَأنَا، فَقَالَ: أشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: وَأنَا، فَلَمَّا أنْ قَضَى التَّأْذِينَ، قالَ: يا أيُّهَا النَّاسُ إنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى هَذَا المَجْلِسِ حِينَ أذَّنَ المُؤَذِّنُ، يَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ مِنِّي مِنْ مَقَالَتِي. (فتح الباري: ٩١٤).

وعن مسلم بن يسار قال: «إني لأصلي في نعلي وخلعهما أهون عليَّ، وما أبتغي بذلك إلا السُّنَّة». (طبقات ابن سعد: ٧/١٨٧).

وكان الإمام مالك رحمه الله إذا جلس للفقه جلس كيف كان، وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا وتعمم، وقعد على منصته بخشوع وخضوع ووقار، ويبخر المجلس من أوله إلى فراغه؛ تعظيمًا للحديث». (تذكرة الحفاظ للذهبي ١/١٩٦).

والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم واقتفائهم سنته كثيرة جدًا، وإنما يدلُّ ذلك على صدق حبهم لله عز وجل، فإن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أمارة حبِّ الله سبحانه، وإن بعض أهل الإسلام لم يقدروا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقَّ قدره، حتى وهم يتوجهون إليه صلى الله عليه وسلم بالحب والتعظيم، ذلك أنه حبٌّ سلبي، لا صدى له في واقع الحياة، ولا أثر له في السلوك والامتثال، وما أحسن قول أبي عثمان النيسابوري إذ يقول: «من أمَّر السُّنة على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالبدعة». (حلية الأولياء: ١٠/٢٤٤).

فمحبة النبي صلى الله عليه وسلم تتمثل في اتباعه والتأسي به والتمسك بسنته وسلوك منهجه والتخلق بأخلاقه والذبِّ عن سنته، اللهم ارزقنا حب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأعنا على التأسي به قولًا وعملًا، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

نظرات في أحكام فرقة الطلاق

(٣)

ما يترتب على الطلاق البدعي

وصلِّ الله وسلم على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى، وعلى آله وصحبه، وبعد: فهذه هي الحلقة الثالثة من هذا المقال: نظرات في أحكام فرقة الطلاق، وسوف نتناول فيها بعض الأحكام المترتبة على الطلاق البدعي.

إعداد **محمد عبد العزيز**

قد سبق أن الطلاق من حيث حكمه ينقسم إلى قسمين: طلاق سني، وطلاق بدعي، وأن سنة الطلاق وبدعته بالنسبة للوقت إنما هي في المرأة التي تحيض، المدخول بها لا فيمن سواها.(الأم، للشافعي (١٩٣/٥))

وقد أخذ هذا الحكم من حديث ابن عمر - رضي الله عنه - «أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ ذَلِكَ عُمَرُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

فَقَالَ: مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثم لِيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا أَوْ حَامِلاً» (أخرجه مسلم (١٤٧١)، وأبو داود (٢١٨١)، والترمذي (١١٧٦)، والنسائي (٣٣٩٧)، وابن ماجه (٢٠٢٣)).

والطلاق السني اختلف في بعض صفته، وهو عند المالكية ما جمع سبعة شروط، قال ابن العربي في أحكام القرآن (٢٧١/٤): «طلاق السنة ما جمع سبعة شروط، وهي:

- أن يطلقها واحدة.
- وهي ممن تحيض.
- طاهرًا.
- لم يمسها في ذلك الطهر.
- ولا تقدمه طلاق في حيض.
- ولا تبعه طلاق في طهر يتلوه.
- وخلا عن العوض.

وهذه الشروط السبعة مستقرآت من حديث ابن عمر».

والطلاق البدعي: ما افتقد شرطًا من الشروط السابقة، وهو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: طلاق بدعة للوقت، وهو أن يطلق امرأته التي تعتد بالحيض، المدخول بها، في طهر مسَّ فيه، أو في حيض.

القسم الثاني: طلاق بدعة للعدد، وهو أن يجمع على امرأته أكثر من طلقة في لفظ واحد كأن يقول لها: أنت طالق ثلاثًا، أو يقول لها: أنت طالق، وأنت طالق، وأنت طالق.

وطلاق البدعة للوقت يترتب عليه أحكام:

الحكم الأول منها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر ابن عمر - رضي الله عنه - حين أوقع الطلاق في حيض أن يراجع امرأته، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن شاء طلق وإن شاء أمسك، فاختلف أهل العلم في موضعين:

الأول منهما: في حكم الرجعة على من طلق للبدعة.

الثاني منهما: في حكم وقوع الطلقة في الحيض أو في

طهر مسّ فيه.

وسنتناول في هذا المقال المسألة الأولى منهما: هل تجب الرجعة على من طلق طلاق بدعة؟

فأقول. وبالله التوفيق. تحرير محل الخلاف في هذه المسألة أن أهل العلم اتفقوا فيها في أربعة محال. و اختلفوا في محل واحد:

أولا المحال التي اتفقوا فيها: اتفق أهل العلم في هذه المسألة على أربعة أمور:

الأول: أن الزوج إذا طلق امرأته طلاقا بدعيًا فانقضت عدتها أنه لا رجعة. (الإجماع لابن المنذر (ص ٦٣ رقم الإجماع: ٣٩٦)، وكشف اللثام (٤٣٢/٥)).

الثاني: أنه لو طلق امرأته قبل الدخول وهي حائض، لم يؤمر بالمراجعة: إلا ما نقل عن زفر. (كشف اللثام (٤٣٢/٥))

الثالث: أنه لو طلق لغير سنة طلاقا في طهر مسّ فيه، استحبت له الرجعة، ولم تجب، قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد (٦٩/١٥): «لم يختلف العلماء كلهم أن الرجل إذا طلق في طهر قد مس فيه أنه لا يجبر على الرجعة ولا يؤمر بها، وإن كان طلاقه قد وقع على غير سبيل السنة».

لكن قال ابن القيم في تهذيب: «وليس هذا الإجماع ثابتا، وإن كان قد حكاه صاحب المغني أيضا، فإن أحد الوجهين في مذهب أحمد وجوب الرجعة في هذا الطلاق، حكاه في الرعاية، وهو القياس؛ لأنه طلاق محرم فتجب الرجعة فيه، كما تجب في الطلاق في زمن الحيض».

ثم بين وجه الفرق بينهما، قال: «الفرق المؤثر عند الناس:

- أن المعنى الذي وجبت لأجله الرجعة إذا طلقها حائضا منتف في صورة الطلاق في الطهر الذي مسها فيه، فإنها إنما حرم طلاقها في زمن الحيض لتطويل العدة عليها فإنها لا تحتسب ببقية الحيضة قرءا اتفاقا، فتحتاج إلى استئناف ثلاثة قروء كوامل.
- وأما الطهر فإنها تعتد بما بقي منه قرءا ولو كان لحظة، فلا حاجة بها إلى أن يراجعها؛

فإن من قال: الأقراء الأطهار كانت أول عدتها عنده عقب طلاقها.

ومن قال: هي الحيض استأنف بها بعد الطهر، وهو لو راجعها، ثم أراد أن يطلقها لم يطلقها إلا في طهر فلا فائدة في الرجعة.

هذا هو الفرق المؤثر بين الصورتين».

الرابع: أنه لو طلقها آخر ثلاث تطليقات طلاقا بدعيا، لم يجز له الرجعة حتى تنكح زوجا غيره نكاح رغبة لا تحليلا. (الإجماع لابن المنذر (ص ٦٥ رقم الإجماع: ٤١٠)).

لحديث نافع، أن ابن عمر، طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر النبي صلى الله عليه وسلم، «فأمره أن يرجعها، ثم يمهلها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم يمهلها حتى تطهر، ثم يطلقها قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء».

قال: فكان ابن عمر إذا سئل عن الرجل يطلق امرأته وهي حائض، يقول: أما أنت طلقتها واحدة أو اثنتين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يرجعها، ثم يمهلها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم يمهلها حتى تطهر، ثم يطلقها قبل أن يمسها.

«وأما أنت طلقتها ثلاثا، فقد عصيت ربك فيما أمرك به من طلاق امرأتك، وبانت منك».

(أخرجه مسلم (١٤٧١)).

وأيضا لا يؤمر بالرجعة بحال: إن لم يكن له عليها رجعة: لو كان الطلاق:

- بائنا.
- أو بخلع.
- أو طلق عليه من: جنون، أو جذام، أو عنة، أو إعسار بنفقة.

فأما العنين فلا رجعة له بوجه.(ينظر: المنتقى، للباجي (٩٧/٤)).

ثانيا المحل الذي اختلفوا فيه: اختلف أهل العلم في المرأة التي تحيض لو طلقها في غير طهر هل يجبر على رجعتها أم لا على ثلاثة مذاهب:

الأول: أن الرجعة مستحبة، ولا يجبر الزوج على رجعتها، وهو قول الجمهور، وهو قول الشافعي، وأبي حنيفة في أحد قولي المذهب، والثوري، والأوزاعي، وابن أبي ليلى، وأحمد بن حنبل، وأبي ثور، والطبري. (ينظر: التمهيد (٦٧/١٥)، والبناية، للبابرتي (٢٩٣/٥)، اللباب، للميداني (٣٩/٣)).

الثاني: أن الرجعة واجبة ويجبر عليها الزوج سواء طلق في الحيض أو في دم النفاس، ويجبر على الرجعة أبدا ما لم تخرج من عدتها، وسواء أدرك ذلك في تلك الحيضة التي طلق فيها أو في الطهر الذي بعده، أو الحيضة الثانية، أو الطهر بعدها إذا كان طلاقه في الحيض يجبر على رجعتها أبدا في ذلك كله ما لم تنقض العدة. هذا القول ظاهر المذهب عند الحنفية، وهو مذهب مالك. (اللباب، للميداني (٣/٣٩)).

وقال أشهب بن عبد العزيز من أصحابه: يجبر على الرجعة ما لم تطهر. (الجامع لمسائل المدونة (١٠/٥٥١)).

الثالث: أن الرجعة واجبة إذا كانت المرأة حائضًا، أما إذا كانت في دم النفاس، فلا يجب عليه الرجعة، وهو قول داود بن علي، و أهل الظاهر. (التمهيد (١٥/٦٨)).

استدل الفريقان بحديث ابن عمر، و من المهم معرفة موضع الشاهد من رواياته:

ففي بعضها: «فقال: مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثم لِيُطَلِّقْهَا طاهرًا أَوْ حاملًا».

وفي بعضها: «مُرْ عَبْدَ الله فَلْيُرَاجِعْهَا».

ففي هذين اللفظين أمر بالأمر بالشيء، فقد أمر الآمر، وهو هنا الرسول صلى الله عليه وسلم، المكلف وهو هنا عمر بن الخطاب أن يأمر غيره بشيء، وهو هنا عبد الله بن عمر، وقد اختلف أهل العلم فيها على قولين:

الأول: أن أمر الآمر المكلف أن يأمر غيره ليس أمر وجوب، لحديث: «مروهم بالصلاة لسبع»، فالصبي غير مأمور من قبل الشارع بالصلاة، وانما من قبل وليه، والصلاة مع ذلك ليست واجبة عليه إجماعًا، فقيل: الصلاة ليست واجبة عليه؛ لأنه لم يؤمر بها، وانما أمر وليه بأمره، فقعَّدوا منها قاعدة الأمر بالأمر بشيء ليس للوجوب، وهذا عمدة من قال الأمر بالمراجعة للاستحباب.

الثاني: أن أمر الآمر المكلف أن يأمر غيره بشيء يختلف:

فإذا كان هذا الغير أهلاً للتكليف كان واجبًا؛ لأن مطلق الأمر للوجوب، ومن ذلك أمر الله لرسوله أن يأمرنا، ومنها قول الملك لوزيره: قل لفلان افعل، فهذا أمر للوجوب.

وإن لم يكن المأمور أهلاً للتكليف كان الأمر بالأمر بالشيء للاستحباب كحديث: «مروهم بالصلاة لسبع».

هذا إذا لم توجد القرينة الدالة على أن المأمور مبلغ، وليس آمرًا، وقد وجدت هذه القرينة في روايات الحديث فمن ذلك:

قوله في بعضها: قال: «لِيُرَاجِعْهَا ثُمَّ يُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ فَتَطْهُرَ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى»: فهذا أمر ظاهر في أن عمر كان مبلغًا، فليس فيه أنه أمره أن يأمر، بل فيه الأمر المباشر: «لِيُرَاجِعْهَا».

وفي بعض رواياته التصريح بأنه مأمور بهذا، ففيها: «فإنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم أَمَرَنِي بهذا».

وفيها: «فأمره أن يرجعها»، ففيه التصريح بالأمر لابن عمر- رضي الله عنهما-.

فهذه نكتة المسألة، ومنها يتبين رجحان مذهب القائلين بوجوب الرجعة.

وثَمّ أدلة أخرى في الباب للجمهور منها: قياس حكم الرجعة في طلاق الحائض على حكم الرجعة في طلاق الطاهر التي طلقت في طهر مسَّها فيه زوجها، بجامع أن كلاهما طلاق بدعي، والشرع لا يفرق بين متماثلين ولا يجمع بين متفرقين، ومراجعة المطلقة في طهر مس فيه غير واجبة إجماعًا، وقد سبق الفرق بين الاثنين في أول هذه المسألة.

ومنها: أن هذا الطلاق واقع، وقد نقل الإجماع على ذلك، فلا يجبر الزوج على الرجعة بعد أن افترقا، قال ابن رشد في بداية المجتهد (٣/٨٨): «فمن اعتمد ظاهر الأمر- وهو الوجوب على ما هو عليه عند الجمهور- قال: يجبر.

ومن لحظ هذا المعنى الذي قلناه من كون الطلاق واقعًا، قال: هذا الأمر هو على الندب».

وقال قبلها: «ولذلك من قال: بوقوع الطلاق، وجبره على الرجعة فقد تناقض، فتدبر ذلك».

ولا تناقض بين القول بالوقوع، والقول بإيجاب الرجعة، فهاتان مسألتان كل منهما لدليل، وقد سبق الحكمة من الأمر بالرجعة.

هذا ما يسره الله في هذا المقال، و الحمد لله رب العالمين.

السلفية منهج حياة

السلفية في الفكر العربي المعاصر

أ.د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

ذكرت في المقال السابق أن الكلام سيأتي حول: مصطلح السلفية بين العصرانيين والإسلاميين في العصر الحديث، واخترنا لهذه الفترة عنوان: «السلفية في الفكر العربي المعاصر»، وذلك لحصر الكلام عن مصطلح السلفية في هذه الفترة، ولا سيما وقد تفاوت بيان المصطلح في هذه الفترة بعدة اعتبارات، وكل اعتبار منها له أصوله وضوابطه في ضبط المصطلح، فضلاً عن تمسك كل صاحب رأي برأيه.

فمصطلح «السلفية» في الفكر العربي المعاصر يكون الكلام فيه من خلال اختلاف العصرانيين والإسلاميين حول هذا المصطلح.

هذا، وقد تفاوت ضبط المصطلح في هذه الفترة بسبب عدة أمور؛ وهي:

أولا: السلفية الأصلية:

وهذا الاتجاه يمثل ما كان عليه الصحابة والتابعون، من موافقة الرأي للكتاب والسنة وروحهما، أي متابعة أهل القرون الخيرية الأولى، والبعض قسمها إلى ثلاثة مضامين لتحديد المعنى المفرد:

الأولى: السلفية الزمانية: وتطلق على المجموعة المتقدمة من أمة الإسلام.

الثاني: السلفية المنهجية: وتطلق على مَن اتبع منهج الأقدمين في الإسلام.

الثالث: سلفية المضمون: وتُطلَق على مَن التزام بمنهج الأقدمين في تفسير النصوص العقدية خاصة، لا سيما نصوص الأسماء والصفات، ويشهد لذلك كله حديث النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الفرقة الناجية قال: "هو مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

ثانيا: السلفية التراثية:

وهي التي تُرجع كل أمورها إلى التراث

ثالثا: السلفية الوهابية:

وهي التي تبناها الإمام محمد بن عبد الوهاب في آخر القرن الثامن عشر، فوقف محاربًا للتصوف والبدع وعلم الكلام.

رابعا: السلفية الليبرالية (الوطنية):

والتي اكتسحت الغرب العربي حينما فُرضت عليها الحماية سنة ١٩١٢م، وسميت أيضًا بـ: «السلفية الإصلاحية».

خامسا: السلفية المعاصرة:

وهذه كما وصفها بعض المفكرين المعاصرين بأنها: قفز على الواقع، وإلغاء لمفهوم الزمان، وإنكار لعوامل التغير والتطور في المجتمع، وإرادة الوقوف عند نموذج واحد من النماذج الفكرية هو نموذج مجتمع الصحابة والسلف الصالح، عماد هذه السلفية فهم ما يُعتبر أولوية الثوابت على المتغيرات، واتخاذ النص بديلاً عن الواقع.

فهي هيمنة الماضي على الحاضر وغياب العقل واعتماد النقل.

هذا تعريفهم لهذه السلفية.

السلفية المعاصرة:

وهي اعتماد كلي على القرآن والسنة كمصدر أولي للعلم والعمل، والأخذ بمفهوم الصحابة كما جاء به هذان المصدران خاصة في قضايا الاعتقاد، وبالأخص في قضايا الأسماء والصفات.

لهذا تعصبت ضد المذهبية والتمذهب الفقهي خاصة، فوقفوا عند النصوص، وفهموها فهمًا مجردًا عن الواقع، وطالبوا من يُفتي أن يفتي

بها حتى للعوام، وأخذوا بجزئيات من المتغيرات وجعلوها ثوابت، فحَجَّروا واسعًا.

وبعد هذه التعريفات والاعتبارات الستة لنا وقفة في تحرير هذه الستة والنزاع فيها.

فمن مواقف البحث العلمي للوصول إلى مفهوم صحيح عن مصطلح (السلفية)، لا بد أن يتركز البحث على أمرين مهمين:

الأول: التعرف على المصطلح من خلال أصحابه كما يقدمونه، لا المعاصرين فقط، بل والغابرين منهم عن طريق الأولى، وخاصة الرموز فيها التي عُرفت بهم عبر التاريخ، كالإمامين الشافعي وأحمد، وابن تيمية، وتلاميذهم، ومحمد بن عبد الوهاب، والشوكاني، وغيرهم.

الأمر الثاني: الانطلاق في تحديد هذا المصطلح وتعريفه يكون من أساسياته المشتركة، وأصول هذه الأساسيات الثابتة التي توارثها أتباع المصطلح عبر الزمن، ولهذا إذا أردنا تحديدًا جامعًا مانعًا لمصطلح السلفية فنقول:

لقد بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة، وتلقى صحابته منه الوحي المنَزَّل الذي جاء به من قرآن وسنة، ثم علَّموه من بعدهم في وقائع حياتهم الفردية والاجتماعية، وذلك لوصية النبي صلى الله عليه وسلم لهم ولمن بعدهم بالوحي قائلًا: «تركتم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك: كتاب الله، وسنة رسوله». وأيضًا كما أوصى صلى الله عليه وسلم بتطبيق هذا الوحي والاقتداء به على وفق المنهج الذي كان هو عليه صلى الله عليه وسلم، ثم أصحابه من بعده، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

حتى إنه لما ظهرت الفرَق المخالفة أُطلق عليه: «الفرَق المبتدعة»؛ لمخالفتها المنهج السابق ذكره.

فمصطلح السلفية هو: الاتجاه المقدِّم للنصوص الشرعية على البدائل الأخرى منهجًا وموضوعًا، والملتزم بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وهدي أصحابه علمًا وعملًا، والمُطَّرح للمناهج المخالفة لهذا الهدي في العبادة والتشريع والعقائد.

ولهذا كانت مقوماتها كالتالي:

أولًا: اعتماد الوحي قرآنًا وسنة في مصدرية التلقي.

ثانيًا: اعتماد فهم الصحابة الكرام للوحي، وتفسير نصوصه، بحكم تلقيهم المباشر للوحي، ومعايشتهم للتنزيل.

ثالثًا: الإجماع والقياس مصدران تشريعيان تابعان للوحي.

رابعًا: الاجتهاد والتجديد. كما ورد في الحديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَن يجدِّد لها دينها».

فالاجتهاد: هو بذل أقصى جهد للوصول للحكم الشرعي.

والتجديد: هو تطهير الدين مما أُلحق به من شوائب في أفهام الناس وسلوكهم، وذلك للعود إلى النبع الصافي.

خامسًا: الاعتقاد بشمولية الإسلام لجميع شئون الحياة.. عقيدةً وعبادةً وأخلاقًا ونظمًا (اقتصادية وسياسية واجتماعية ومعرفية... إلخ).

لذلك تعتبر هذه المقومات بمثابة الدعائم لمصطلح السلفية، فمتى وُجدتْ هذه السمات أو الدعائم أيقنا تمامًا أن هذا هو المنهج السلفي.

ولهذا قلنا في بداية الكلام على المصطلح من أول مقال فيه "السلفية منهج حياة": لا تيار، ولا حزب، ولا جماعة، ولا فكر، بل منهج يسير عليه المسلم في حياته وفي دينه، كما كان صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

بهذا أيها القارئ الكريم نكون انتهينا من الكلام على مصطلح السلفية، وإن شاء الله تعالى نبدأ في موضوع جديد في المقالة القادمة بحول الله وتوفيقه ومدده.

سائلًا الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

حماية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من الباطل وتحكيمه في وضع الحجر الأسود

إعداد **د. سعيد صوابي**

أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر- القاهرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

في هذا العدد نتناول حماية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من الباطل، وتحكيمه في وضع الحجر الأسود، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولا، حماية الله للنبي صلى الله عليه وسلم من الباطل ونهيه لمن رآه يفعله،

حفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم من كل مفاسد الجاهلية ومساوئها، فلم يشهد لهم عيدًا، ولم يحضر معهم مشهدًا، وما تمسَّح بصنم قط، ولا حلف به، ولا أكل مما ذُبِحَ على أنصابهم؛ صلى الله عليه وسلم.

أخرج الإمام أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين، عن عروة بن الزبير قال: حَدَّثني جَارٌ لِخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ لِخَدِيجَةَ: «أَيْ خَدِيجَةُ! وَاللَّهِ لا أَعْبُدُ اللاَّتَ أَبَدًا، وَاللَّهِ لا أَعْبُدُ الْعُزَّى أبدًا» (المسند ٤/ ٢٢٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢٥، ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح).

وأقول: وهذا الحديث أحد الأدلة التي تُبطل افتراءات المستشرقين على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

◆

بل كان صلى الله عليه وسلم ينكر عليهم صنيعهم، وينهى من كان يشاهده منهم يتمسح بالأصنام، فعن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: "طُفْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَسْتُ بَعْضَ الأَصْنَامِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «لا تَمَسَّهَا» فَقُلْتُ: لأَعُودَنَّ حَتَّى أُبْصِرَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ مَسَسْتُهَا، فَقَالَ: «أَلَمْ تُنْهَ عَنْ هَذَا؟» قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح ٨/ ٢٢٦، ودلائل النبوة للبيهقي: ٢/ ٣٤.

ثانيًا: تحكيمه صلى الله عليه وسلم في وضع الحجر الأسود وشهادة قومه له

وهذه شهادة جميع معاصريه المخالطين له؛ وذلك حين اشتد بهم الخلاف، واحتدم بينهم النزاع، أيهم يحوز شرف وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة.

أخرج الإمام أحمد بسنده إلى مجاهد، عن مولاه، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: وَلِي حَجَرٌ أَنَا نَحَتُّهُ بِيَدَيَّ، أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ الَّذِي أَنْفَسُهُ عَلَى نَفْسِي، فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْغَرُ فَيَبُولُ (يعني: أن الكلب يرفع إحدى رجليه ليبول على الصنم بعد أن يلحس اللبن الذي كان يصبه عليه من يعبده ويحرم منه نفسه، وكان الصحابيُّ يخبر بذلك: ليبين ما كانوا عليه قبل الإسلام من سفه وضلال، والله أعلم)، فَبَنَيْنَا حَتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ، وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسْطَ حِجَارَتِنَا، مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ، يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ، فَقَالَ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْأَمِينُ، فَقَالُوا لَهُ، فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ، فَوَضَعَهُ هُوَ صلى الله عليه وسلم (حديثٌ صحيحٌ بشاهده الآتي، مسند الإمام أحمد ٣/٤٢٥، وفى سنده: هلال بن خباب العبدي، أبو العلاء البصري: صدوق، وثّقه أحمد وابن معين، وغيرهما، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وقال ابن حبان: يخطئ ويخالف. تهذيب التهذيب ١١/٧٧، ٧٨ وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند ح١٥٥٠٤ وقال: ومولى مجاهد هو: قيس بن السائب، كما نص على ذلك ابن سعد ٥/٤٤٦ انظر: الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٧٢٧، والمعجم الكبير للطبراني ١٨/٩٣١... وجعل الإمام أحمد؛ مولى مجاهد، هو: السائب بن أبي السائب، ونظن أنه وهمٌ، وحقه أن يفرد، والله تعالى أعلم. المسند ٢٤/٢٦٢، ٢٦٣ بتصرف يسير).

وهذا عليٌّ رضي الله عنه يقول: «لما انهدم البيتُ بعد جُرْهُمٍ فبنته قريش، فلما أرادوا وضْع الحجر تشاجروا من يضعُهُ؟ فاتفقوا على أن يضعَهُ أولُ من يدخلُ من هذا الباب، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بني شيبة، فأمر بثوب فوضع، فأخذ الحجر ووضعه في وسطه، فأمر من كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب، فيرفعوه وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه». (منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود: ٢/٨٦).

فتشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع الحجر في الثوب بيده الشريفة، ثم حمله منه، فوضعه في مكانه من بناء الكعبة، والحمد لله على ذلك.

وبالجملة: فقد خالط النبي صلى الله عليه وسلم في حياته الأولى وفترة شبابه المجتمع الذي كان يعيش فيه بأرقى أنواع المعاملة؛ وأسمى درجات الطهر والنقاء؛ محفوظًا بحماية الله له من كل ما يسيء إلى شخصه ودعوته، وهكذا جرت سنته سبحانه أن يصون عباده الذين سيكونون أئمةً للناس؛ حتى لا تفقد الثقة بهم، ويكون لهم تأثير في من يعلمونهم، فكيف بالأنبياء والرسل؟!! بل كيف بأفضلهم وأشرفهم وأكملهم وخاتمهم الذي جعل الله فيه جميل الأسوة وعظيم القدوة صلوات الله وسلامه عليه؟!

وفي القرآن الكريم شواهد ونماذج كثيرة لمثل هذا الطهر والنقاء الذي نشأ فيه أنبياء الله ورسله قبل الوحي والرسالة، فقد قص القرآن علينا مقالة قوم ثمود لنبيهم صالح: (قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ) (هود: ٦٢).

وقول أهل مدين لنبي الله شعيب: (إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ)(هود: ٨٧).

وكذلك قول السجينين ليوسف عليه السلام: (إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ) (يوسف: ٣٦).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر:

الإيثار

قلة الخلاف

التماس الرضا

إعداد د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فإن من الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر: «الإيثار»، فهو من أحمد الخصال، وأجمل الخلال، وأعظم ما تحيا به المشاعر؛ فهو يقضي على جراثيم العداوة، ويقطع دابر سوء الظن، ويميت أسباب الأثرة والمبالغة في حب الذات، ويضمن- بإذن الله- دوام العشرة، وصفاء المودة.

قال الله عز وجل مثنيًا على الأنصار: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» (الحشر:٩).

فإذا شاع هذا الخلق الرفيع في المنزل، وفي السوق، وبين الأصدقاء، وفي قاعات العلم- عمَّ الائتلاف، وقلَّ الخلاف.

قال أبو حيان التوحيدي: «سمعت أبا دُلف الخزرجيَّ يقول: أنا أستجفي الشاعر الذي يقول:

والله لا كنت في حسابي

إلا إذا كنت في حسابك

فإن تزرني أزرك أو إن

تقف ببابي أقف ببابك

وكان يقول: ما هذه الغلظة والفظاظة؟! وما هذه المكايسة والمصادقة؟! أفليس لو قابلك صاحبك بمثل هذا الأمر وقف الأمر بينكما؟ وانتكث حبل المودة عنكما؟ ودبت الشحناء في طي حالكما؟

وقال الشيخ الأديب العلامة محمد الخضر حسين مصورًا هذه المعاني في مقطوعة عنوانها: «الأثرة بين الأصدقاء»:

سايرت خلًا في الهجير فحاد عن

ظلّ وآثرني ببرد هوائه

فأبيت أن أرد الظلال وصاحبي

يلقى وهيج الشمس في غلوائه

ولو احتسى الماء الزُّعاق حسوته

عبًا ولو جاء الفرات بمائه

والودّ إن شابته يوما أثرة

ذهبت معالمُ صدقه ووفائه

«وهيج الشمس»: شدة توقدها.

«احتسى»: شربه شيئًا فشيئًا. والزُّعاق: الماء المر الغليظ الذي لا يطاق شربه، والفرات: الصافي.

و«الأثرة»: ضد الإيثار.

ومن الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر أيضًا:

قلةُ الخلاف، والتماس الرضا

فلذلك من أعظم ما يحفظ الود، ويطفئ نار الحقد والحسد «التماس الرضا».

قال الأحنف بن قيس رحمه الله: «لو جلست إلى مائة لأحببت أن ألتمس رضا كل واحد منهم». (بهجة المجالس لابن عبد البر ١/٤٥).

وقال أبو إسحاق السبيعي رحمه الله: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: السلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب أسمائه، وألا تماريه». (الصداقة والصديق: ص١٥٨).

وقال أبو غسان: اجتمعت أنا ومحمد بن النضر الحارثي وعبد الله بن المبارك والفضيل ورجل آخر، فصنعت لهم طعامًا، فلم يخالف محمد بن النضر علينا في شيء، فقال له ابن المبارك: ما أقل خلافك!

وقال ابن حزم رحمه الله: «إياك ومخالفة الجليس، ومعارضة أهل زمانك فيما لا يضرك في دنياك ولا أخراك وإن قل؛ فإنك تستفيد بذلك الأذى والمنافرة، والعداوة، وربما أدى ذلك إلى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة أصلًا».

رزقنا الله وإياكم حسن الخلق.

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦ مجلداً

ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تتباهى بها الدنيا

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد

☎ 23936517

تمور الطحان ®
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
حاصلة على شهادة
ISO 22000
Safety Seal
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

خدمة العملاء
01284447778
01128911113

(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر